بصائر

عاشوراء

الجزء الأول

سماحة العلامة

الشيخ محمد علي المحفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م

هوية الكتاب:

الكتاب: بصائر عاشوراء - الجزء الأول

المؤلف: سماحة العلامة الشيخ محمد علي المحفوظ

الناشر: دار أهل البيت عليهم السلام

بيروت - لبنان

بصائر عاشوراء

الجزء الأول

سماحة العلامة
الشيخ محمد علي المحفوظ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

تقريظ

سماحة آية الله المجاهد

السيد هادي المدرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلائق أجمعين
و باعث النفوس ليوم الدين، و الصلاه و السلام على خاتم
النبيين، و شفيع المذنبين، أبي القاسم محمد
و على أهل بيته الطيبين الطاهرين

الحسين عليه السلام قضيتان: قضية رسالة، و قضية دم..

أما دمه فقد سكن الخلد، وأما رسالته فهي اليوم مسؤولية كل فرد من أفراد الأمة؛ ذلك أن منهج الحسين عليه السلام وحدة متكاملة في الرؤية و الراية و الرويّة، فلقد كان سلام الله عليه يمثّل كلّ الأتقياء الذين يسعون لتحقيق العدل في الأرض،

لأنه يحارب من أجل مبدأ بلا مغنم، بينما كان عدوه يحارب من أجل مغنم بلا مبدأ.

وهكذا هم أحباب الحسين عليه السلام: رساليون مجاهدون، وفدائيون مؤمنون بقضية الحق و الحقوق، قد جعلوا عاشوراء دثاراً لهم، و راية الحسين عليه السلام مناراً لهم، و لذلك فإنهم لا يضلّون الطريق أبداً، و لا يستسلمون لضيق أو سجن أو قتل.

سماحة العلامة المجاهد الشيخ محمد علي المحفوظ هو أحد هؤلاء الحسينين الأبطال الذين سخّروا حياتهم لخدمة الدين، فلقد عرفته منذ سنوات طوال مؤمناً، مخلصاً، مجاهداً على خطى الحسين عليه السلام، قد تعلق قلبه بالحسين، و عمل بكلّ وجوده من أجل الحسين، و استمد من عزم الحسين عليه السلام العزم على مواجهة الطغاة، و استمد من صبر الحسين عليه السلام الصبر على النائبات، ومن صمود الحسين عليه السلام استلهم الصمود و الثبات، فأنار الله تعالى بالحسين دربه، و قذف في قلبه النور و البصيرة، فصار حديثه عن الحسين عليه السلام و عن ثورة عاشوراء حديثاً مفعماً بالرؤى و البصائر.

إن مما يميز هذا الطود الشامخ هو معرفته أن عاشوراء ليست نصوصاً تاريخية في بطون الكتب، بل هي حماسة ربانية تجري في دماء المؤمنين إلى يوم القيامة، ولذلك فقد اقتبس سماحته من عاشوراء الرؤية و المنهج، فصارت حياته حسينية الفكر و الموقف، فلا يكتفي بالتكلم عن عاشوراء بل يعيش عاشوراء في

كل لحظات حياته، ويجسّدها في مواقفه وأعماله، لقد أمضى حياته في الجهاد و مقارعة الظالمين، وكان الطغاة له بالمرصاد فهجروه، و سجنوه، و عذبوه، إلا أن ذلك لم يضعف إيمانه، و لم يزلزل يقينه، ولم يفت في عزيمته على مواجهتهم و التصدي لمسؤولية الدفاع عن حق المستضعفين و المحرومين.

إنّ من واجبنا اليوم الدفاع عن أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين أفنوا حياتهم في تجسيد ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ ثورة المظلوم على الظالم..

حقاً إن عاشوراء موسم لاستنهاض الهمم من أجل الدفاع عن القيم، ومناسبة لإحياء الشعائر من أجل إقامة المنائر، فهلموا معاً نستلهم من عاشوراء دروس التضحية و الإباء، و نتعلم الوقوف في وجه الطغاة و الدفاع عن المظلومين ..

أسئل الله عزوجل أن يُفرج عن سماحة العلامة الشيخ المحفوظ فرجاً عاجلاً قريباً، و أن يخلّصه من سجون الظالمين، و ينصره على من ظلمه إنه سميع مجيب الدعاء..

و الحمد لله رب العالمين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين
نبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين

يقول المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية: «الحق أن ميتة الشهداء التي ماتها الحسين بن علي قد عجّلت في التّطور الديني لحزب علي، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة».

ليس بروكلمان المفكر الوحيد الذي استثارته ملحمة كربلاء بكل ما تحمله من مواقف ومعان نبيلة، سطّرت على

مر العصور ترجمة واقعية لرفض الظلم بشتّى أشكاله القمعيّة وبتمثيل منقطع النظير، ولا جدل في هذا لأنها تجسيد لإرادة الله العادلة في الأرض.

يمكن الجزم بأنّ ملحمة الطّف لا تزال تملك تلك القوة المُلهبة المُلهمة لأرواح المستضعفين ممن قرؤوها في سياقها السليم واستشعروا فيها الرفض الحقيقي لكلّ نظم الظلم والاستعباد بشقيه المعنوي والجسدي، واستخلصوا من نهج بطلها سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام الوقوف مع الحق في كل زمان ومكان، وفي أحلك الظروف لم يستطع يزيد الطاغية أن يشوّه نهج الإسلام المستقيم وأن يخلّد نهجه الفاسد من خلال تجاوز رفض الحسين عليه السلام المستمر لكل عروضه التي تأخذ في اتجاه واحد مغزاه تثبيت الولاية المطلقة للحاكم ولو كان ظالماً فاسقاً، وتأتي الطاعة القسرية تباعاً نتيجة لكونه شرطاً أساسياً لإرسائه كنظام، ولكن صمود أبي الأحرار أمام المحاولات الملتوية لتثبيت البيعة حتى الاستشهاد صاغ نموذجاً مثالياً في ترسيخ ديمقراطية الرأي، وأعطى درساً سامياً في ترسيخ حقوق المخلوق التي كرمها به الخالق عز وجل، وأسّس لمنظومة متكاملة من القيم الإنسانيّة القادرة على إصلاح المجتمعات عبر العصور وفي مختلف الظروف.

لم تكن مظلومية الإمام الحسين عليه السلام مثالاً للاستكانة

والانصياع قط، بل على العكس تماماً كانت ولا زالت صرخة الحق العليا في وجه الباطل، لم تذهب التضحيات اللامحدودة التي قدّمها هذا الإمام الخالد بكل أولاده وأتباعه ونسائه ونفسه الشريفة زبداً جفاءً، بل يمكن القول أنها كانت بمختلف أنماطها وصورها سبلاً لتنمية الوعي الإنساني والرقيّ بأفقه الفكري نحو منهج يرفض الخضوع للشيطان و الشهوات الزائلة، ويرفض الاستعباد والذل لأي بشر كان، ويرفض أي سقف يحدّ كرامة الإنسان وحريته.

لم يشكّل الموت جداراً حاجزاً في وجه مشروع الحق الذي أسّس له الإمام الحسين بن علي عليه السلام، بل إنّه قال مخاطباً أصحابه في يوم العاشر من محرم بعد أن حاصره زبانية يزيد الفاسق: «**صَبْراً بَنِي الكِرَامِ! فَمَا المَوتُ إلا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ البُؤسِ وَالضَّرّاءِ إلى الجِنَانِ الوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ. فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَن يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إلى قَصْرٍ؟ وَ مَا هُوَ لأعدائكم إلا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرٍ إلى سِجْنٍ وَعَذَابٍ**»[1]، نستشعر من هذه الروح العظيمة النظرة الدونيّة للدنيا وما تحمله من أهواء وبريق كلّه إلى زوال، وإننا لن نجني في مستقرنا إلا ما زرعناه في ممرنا.

(١) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ٤ – الصفحة ٢٩٥٩

إنّ لكربلاء نصيباً وافراً في تشذيب الفكر الإنساني والنهوض به نحو مجتمع يرفض القسر المادي والعبودية الذي تجسّد في يزيد وزبانيته، و لقد كان من أسمى وأنبل القيم التي صيغت من خلالها: هو الانتهاج بمدرسة الوعي في مواجهة مدرسة الجهل، ولنا نحن المسلمين كافّة أن نحمل قيمها في رسالة الحسين من أجل الحق وتفعيلها في مضمارها المستقيم، التي استشهد بعنوانها مصباح الهدى وسفينة النجاة.

ليست قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية محدودة وخاصة، بل هي أرحب مما يُتصور لتحمل همَّ كل مظلوم ومستضعف على وجه الأرض، وترفع كلّ راية من أجل الحرية، وتحارب كلّ صور التبعيّة لسلطة لا تكفل مجتمع الحق والحرية والعدل، وهذا ما يفسر الأثر الذي أحدثته في نفس المفكر المسيحي أنطوان بارا حتى قال «لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين».

إنّ الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد شعار، وإنّما هو غاية وهدف عظيم، وعنوان كبير لتنظيم الواقع الديني و الاجتماعي والسياسي و الاقتصادي في العالم.. فما أحوجنا اليوم إلى نوره ومنهجه لإعادة بناء الإنسان في المجتمع، ومن ثم النهوض بالمجتمع .

و في طريق هذا البناء نحن بحاجة إلى العمل على صياغة الوعي لدى الناس من خلال العودة إلى ثقافة عاشوراء و الانفتاح الواعي عليها، و ترسيخ التمسك بالقيم و الحرية والاستقلالية والعزة و الكرامة في نفوس الناس بعيداً عن الهيمنة والانقياد والشعور بالضعف والعجز، ومن هنا تعتبر صياغة الوعي من أعظم التحدّيات التي تواجه نهضة المجتمعات وانطلاقتها ويوضح القرآن الكريم أهميّة الاستماع الواعي ودوره في صياغة الوعي حيث يقو ل ربنا عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]، ثم يركّز القرآن الكريم بعد ذلك على أهمية العقل والقلب السليم في استقبال الفكرة والتفاعل معها فيقول ربنا عز وجل: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾[2]، ويقول الإمام علي عليه السلام: « **إنَّ هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها**».

إننا نسعى من خلال هذه الوريقات للتزود بالرؤى و البصائر العاشورائيّة ، ولفهم مضامين كربلاء فهماً عميقاً عبر استخلاص الدروس من هذه الثورة العظيمة ، لنصل

(١) الزمر: ١٧ – ١٨

(٢) الحاقة: ١٢

بمجتمعاتنا إلى بر الأمان، وننقذ الناس من براثن الجهل و الضلال و الظلم.

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام سوف تبقى على مدى الأزمان صرخة الوعي الحاضرة والمعبِّرة والمؤثِّرة في قلوب الناس، لأنها مرتبطة بالحق والصدق، أما الباطل و فقاعات البعض "الزائفة" و "المتخفيّة" و "المتلبّسة" فلن تجد لها مكاناً لأنه «**لا يصحُّ إلا الصحيح**»، و كما يقول ربنا عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾[1].

و الحمد الله رب العالمين

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد و آله الطيبين الطاهرين

محمد علي المحفوظ

البحرين

(١) الرعد: ١٧

الإصلاح

رسالة الأنبياء عليهم السلام

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1]

خلق الله عزوجل الناس و غرس فيهم الفطرة والتي توجه الإنسان نحو الدين الحنيف و الصراط المستقيم ، فكل شخص يؤمن في قرارة نفسه بوجود خالق و رب ، و يؤمن بحسن الخير ، وقبح الشر ، ولكن الإيمان هذا قد تعصف به تيارات الغرائز والعصبيات فتزلزله وتبعده عن الجادة ، يقول رسول الله ﷺ : « **كُلُ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَ يُمَجِّسَانِه وَ يُنَصِّرَانِهِ** »[2].

ودور الأنبياء و الرسل هو: إرجاع الناس إلى تلك الفطرة

(١) الأعراف: ٥٦

(٢) جامع السعادات - ج ١ - الصفحة ١٣٠

الموجودة في داخل كل إنسان، فإذا ما عاد الإنسان إلى فطرته تجلّت له الحقيقة بكل وضوح ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « **فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَ يُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**»[1]

فالفطرة قوة كامنة داخل الإنسان تدعوه دوماً للعودة إلى الصراط السوي، فالإنسان مخلوق لهدف معين فإن هو لم يمض في اتّجاه تحقيق الهدف المنشود عملت فطرته ودعته للعودة إلى الجادّة ، و إلى إصلاح ذاته ، لذلك فالإنسان بطبيعته يحمل معه حلم الإصلاح دائماً، هناك من يحلم بإصلاح ذاته، و آخر بإصلاح عائلته، وهناك من سمت نفسه، و تحرر من (الأنا) فصارت أحلامه عالية، و أفعاله عظيمة، حاملاً على عاتقه إصلاح مجتمعه وفق قيم السماء.

يقول الله عزوجل مخاطباً الناس: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾[2]. فالكون مبني على ركيزتي الصلاح و الإصلاح،وسوف يعود أيضا إلى الإصلاح والصلاح، فـ «لا يصح إلا الصحيح» كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، لذلك يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالإصلاح والمحافظة على ما نصلحه سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجمعي.

---

(١) نهج البلاغة – الخطبة رقم ١

(٢) الأعراف: ٥٦

لذلك فإن قيمة الإصلاح قيمة جوهرية ومهمّة بين القيم الربانيّة ، دعا الله تعالى إليها، و حثَّ جميع الأنبياء و الأوصياء عليها، وعملوا على تحقيقها في الأرض، وحاربوا في المقابل كل مفسد في الأرض.

حلم المنقذ:

إنّ البشر رغم اختلاف مشاربهم و معتقداتهم إلّا أنهم جميعاً يؤمنون بقدوم المنقذ، ويحلمون بزمان يحل فيه السلام على سطح الأرض، وتتحقق فيه العدالة الكونية بيد (منقذ البشرية)، فهم جميعاً ينتظرونه وإن اختلفوا في وصفه ونسبه وشكله، ولكنه يبقى هو من سيعيد الأرض إلى حالتها المتوازنة من خلال إصلاحها و نشر الصلاح و العدالة و القضاء على الفساد و المفسدين ، وذلك بمساعدة ثلّة من الصلحاء.

وهذا هو وعد الله عزوجل لنا، ولن يخلف الله وعده: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1].

الفكرة الصالحة ركيزة الإصلاح

ليس كل مدع للإصلاح هو "مصلح"، وليست كل

(١) القصص: ٥

عمليـة أُطلـق عليهـا اسـم "الإصـلاح" هـي عمليـة "إصـلاح"، فلربـما أطلـق البعـض اسـم "المصلـح" عـلى رجـل "مفسـد"، ولربـما سـمت بعـض وسـائل الإعـلام - مثـلاً - عمليـة "الإفسـاد" بعمليـة "الإصـلاح". ذلـك أن الإصـلاح الحقيقـي يجـب أن يُبنـى عـلى فكـرة صالحـة، ورؤيـة وبصـيرة سـليمة توجهـه و تقـوده نحـو الإتّجـاه الصحيـح، فعندمـا تُخلـق الفكـرة مـن منبـت صالـح حتـماً سـتثمر ثـمار الخـير والصـلاح، والفكـرة في منبـت السـوء حتـماً سـتنشر الـشر وإن كان ظاهرهـا خـيراً - أحيانـاً - إلا أن باطنهـا يبقـى فاسـداً لا يولِّـد إلا الفسـاد.

الفكرة الصالحة إمّا أنّ تأتي من خلال:

- الوحي و تشريعات السماء ، و ما جاء به الأنبياء عليهم السلام.
- أو مـن خـلال العقـل السـليم المرتبـط بالوحـي، يقـول عزوجـل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

فالعقـول بحاجـة إلى أن تسـتمد إلهامهـا مـن وحـي الإيـمان وروح الإيـمان كـي لا يتحـول الإنسـان مـن عاقـل إلى شـيطان، فيسـتخدم عقلـه في إفسـاد المجتمـع، كمـن يسـتعمل عقلـه مـن أجـل صناعـة قنبلـة نوويـة فيدمـر بهـا العـالم، وهـذا مـا يُطلـق

(١) العنكبوت: ٦٩

عليه في الروايات: بـ"الشيطنة" ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾[1].

ويضرب لنا القرآن الكريم مثالاً رائعاً للفكرة الصالحة وكيف تزهر وتنمو فيقول عزوجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2]، بل يدفع الإسلام باتجاه الأفكار والأعمال الصالحة، ويعتبر الخاسر هو من لم يعمل الصالحات، فيقول ربنا عز وجل: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[3].

النبي شعيب عليه السلام ونموذج دعوة الإصلاح:

لقد استعرض القرآن الكريم مجموعة من الحالات الإصلاحية التي قام بها الأنبياء في مختلف مجالات الحياة، ومن هذه الأمثلة قصة نبي الله شعيب عليه السلام و كيف حارب الفساد الاقتصادي المستشري في مجتمعه، حيث ابتُلي قوم شعيب عليه السلام "قوم مدين" بالفساد الاقتصادي ، فأخذوا ينقصون

(١) الأنعام: ١٢١

(٢) إبراهيم: ٢٤ - ٢٥

(٣) العصر: ١ - ٣

المكيال و الميزان فنهاهم نبي الله شعيب عليه السلام عن ذلك بعد أن أمرهم بعبادة الله و اتّباع مناهجه في الحياة الاقتصادية ، و حذّرهم من أن الرفاه قد يزول بسبب ظلمهم ، و يحيط بهم عذاب الله ، كما نهاهم عن الفساد و أمرهم بالقسط ، و ذكّرهم بأن عليهم الانتفاع بهدى الله و رسالته، و أكّد بأنه ليس سوى مبلّغ للرسالة ، و ليس وكيلاً عنهم . بيد أنهم رفضوا قبول دعوته بالرغم من قبولهم لشخصه ، فبعد أن اعترفوا بأنه صاحب دين و التزام بالشعائر ، و أنه حليمٌ رشيد لم يقبلوا بأن يتدخل في شؤونهم المعيشيّة وأن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبده آباؤهم، أو تحديد حريتهم في أمور اقتصادهم.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾[1]

لقد جاء شعيب عليه السلام نبياً من قبل الله إليهم و أمرهم بعبادة الله ، و تنفيذ تعاليم السماء ، و نهاهم عن عبادة ذواتهم، أو عبادة الثروة الزائلة ، كما نهاهم عن الانقاص في المكيال و الميزان لأنه نوع من الظلم و العلاقة الفاسدة بين أبناء البشر، و حذّرهم من يوم يحيط بهم عذابه فلن يجدوا مفراً منه.

(١) هود: ٨٤

ربما كانت مدين كغيرهم من الشعوب الجاهلية، تدّعي الإيمان بالله ظاهراً، و لكنهم لا يطبقون رسالة الله في الواقع العملي، فلذلك أمرهم شعيب بعبادة الله و تحكيم سيادته التشريعّية على واقعهم الاجتماعي، دون أن يكتفوا بترداد اسمه سبحانه، بينما يتخذون آلهة أخرى للعبادة، كالكهنة و الطغاة و الأشراف و أصحاب المال.

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1]

و أمرهم شعيب عليه السلام بأن يوقفوا رحلة الانهيار التي بدأت في حضارتهم المزدهرة عبر ثلاث ثغرات هامة وجدت فيهم و هي:

- **أولاً**: الاستهانة بالمقاييس الاقتصادية التي كانت موضع ثقة الجميع كالمكيال و الميزان، فإذا بخسوا فيهما فإن النظام الاجتماعي ذاته يصبح مهدداً بالزوال. إذ إنَّ النظام يقوم على أساس الثقة و التوافق الاجتماعي عليه، و لا ثقة و لا توافق مع الاحتيال على المقاييس و القيم التي يجب أن تكون ثابتة و معتمداً عليها.
- **ثانياً**: تبديل العلاقة الاجتماعية السابقة التي كانت

(١) هود: ٨٥

تعتمد على احترام حقوق الآخرين ، و التنافس البنّاء من أجل الحصول على خيرات الأرض بتعاون الجميع و ثقتهم ببعضهم ، و لكنهم بدّلوا ذلك بعلاقة الصراع و محاولة كل فرد أو كل جبهة أو جماعة السطو على حقوق الآخرين ، مما يهدد محور المجتمع ، و أساس المدنية.

- **ثالثاً**: تبديل علاقة الإنسان بالطبيعة من علاقة الإصلاح و التعمير و البناء ، و الانتفاع المعقول إلى علاقة الإفساد و الهدم ، و الإسراف في الانتفاع أو الشذوذ فيه.

هكذا جاءت رسالة الله لأهل مدين على يد شعيب في لحظة التحول، حيث كانوا أحوج شيء إلى الهداية. فقال لهم شعيب عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾.. أي احترموا المكيال و الميزان ، و ليكن كيلكم و وزنكم بالعدل التام . ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾.. سواء كانت مادية أو معنوية ، و ليكن همّكم أداء حقوق الآخرين و احترامهم، و الاعتراف بمنزلتهم و كرامتهم دون أي نقص في ذلك، ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾، و لكن قوم شعيب ظلّوا على وضعهم الفاسد و عيّروا شعيباً:

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ

﴿ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[1]

و كأن عبادة الأصنام تحولت عندهم الى دين مقدس لأنه من عمل الآباء ، و لا يجوز أن يعارضها شخص مؤمن كشعيب ، و كما عادة الأصنام كذلك سائر الأنظمة كالملكية الفردية المطلقة.

﴿ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾ وتتدخل في طرق تكسبنا للمال سواءكان بطريقة مشروعة أو غير مشروعة، و سواء بظلم الناس أو ببخسهم حقوقهم، و أن نصرف المال في أي وجه نشاء صلاحاً كان أم فساداً .

و يبدو من حديث قوم شعيب أنهم قد ضلوا ضلالاً بعيداً حتى رأوا المعروف منكراً ، و المنكر معروفاً ، و أصبح الفساد ديناً مقدساً عندهم و ليس فقط سلوكاً شاذاً ، لذلك لم تنفعهم نصيحة شعيب عليه السلام.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[2]

في الوقت الذي كان قوم شعيب يجادلونه في خرافاتهم و

(١) هود: ٨٧

(٢) هود: ٨٨

أصنامهم ، كان شعيب عليه السلام يقاوم ضلالتهم و يحتج عليهم:

- **أولاً** : بأنه قد هداه الله ، و جعله على بينة واضحة.
- **ثانياً**: إن حياته الشخصية على خير وجه.
- **ثالثاً**: إنه أول من يتبع مناهج ربه التي يأمرهم بها.
- **رابعاً**: إن هدفه هو إصلاح الوضع الفاسد بكل ما أوتي من مقدرة.
- **خامساً**: إنه لا يهمه الفشل ، كما لا يستبد به اليأس لأنه يرى أن توفيقه من الله ، و أن عليه لا على نفسه أو على الناس توكله و اعتماده و معاده ، و حذّرهم من أنّ عنادهم ضده ، و تحدّيهم له قد يوقعهم في ذات المهلكة التي وقعت فيها الشعوب الضالّة سابقاً ، مثل قوم نوح و قوم صالح و قوم لوط القريبين منهم زماناً أو مكاناً أو كلاهما.

و هكذا يظل الأسلوب الرسالي هو: ذلك الأسلوب الذي ينير القلوب ، و يتحدث إلى الوجدان بعد أن يرفع عنه الصدأ، و يكشف عنه الحجب ، و هكذا فعل شعيب حيث بدأ من نفسه و وضع أمام قومه واقعاً جديداً هو سلوكه، وبيّن لهم سلامة رؤيته ، و صواب طريقه ، وكيف أنّه على بيّنة واضحة من الله تعالى.

و إن هذا الفكر السليم هو الأساس الذي يريد أن يصلح المجتمع به. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ فبالرغم من اختلاف الناس في مفهوم الصلاح و الفساد في بعض الأبعاد التفصيلية، فإن أكثر الناس يعلمون أن تقريب القلوب، و تأليف التقوى، و الوفاء بالمكيال و الميزان، و الاهتمام بالمحرومين و المستضعفين، كلّ ذلك صلاح، و أنّ شعيب عليه السلام يقوم شخصياً بفعل الصلاح، و يضرب بذلك مثلاً على حقيقة رسالته».[1]

و هكذا كانت رسالة شعيب عليه السلام الإصلاح في المجتمع منطلقاً من فكرة سليمة ورؤية صائبة.

بلعم بن باعورا النموذج المقلوب:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[2]، لقد نزلت هذه الآيات في بلعم بن باعورا[3]، وكان من بني إسرائيل. وكان عنده الاسم الأعظم فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: « **أنه أعطي بلعم بن**

(١) تفسير من هدى القران - المرجع السيد محمد تقي المدرسي- سورة هود

(٢) الأعراف: ١٧٥

(٣) قال البغدادي في المحبر ص ٣٨٩: هو بلعم بن بعور ابن ستوم بن فواسيم بن مآب بن لوط ابن هاون بن تارخ بن ناحور.

باعورا الاسم الأعظم، وكان يدعو به فيستجاب له، فمال إلى فرعون، فلما مر فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمر في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عز وجل فقالت: ويلك على ماذا تضربني؟ أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، وهو قوله: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ﴾[1] »[2]

لذلك فإن الإصلاح لابد أن يكون مبتنياً على فكرة سليمة وعلم أصيل، وإلا فإن هذا العلم سوف يتحول إلى مضرة للبشر، ذلك أن الهدى من الله ، لا ما يتخيله البشر بفكره القاصر، أمّا الضلالة فهي نتيجة طبيعية لفقدان هداية الله .. و حين يؤتي الله فرداً نعمة الرسالة ، فيُنزل عليه آياته ، فعليه أن يتعهد بميثاق الله فيها ، و هو الالتزام المطلق بها دون أن يترك شيئاً منها ، تحت ضغط الشهوات أو سبب الإهمال.

أما إذا ترك جانباً من آيات ربه بعد أن استوعبها، فان

(١) الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦

(٢) بحار الأنوار – ج ١٣ – الصفحة ٣٧٧

الشيطان سوف يصبح قرينه و ساء قرينا، و يكون مثله مثل الكلب كما علماء السوء، والأحبار و الرهبان، و كل من أوتي علماً فتركه.

إن العلم معراج البشر، و لكن إذا ركن الفرد إلى الأرض و شهواتها و جاذبيتها، فإن العلم سوف يترك مكانه للجهل، و العقل للشهوات، و تصبح كلمات العلم عند صاحبها كلهث الكلب.

إنما يستفيد البشر بالعلم إذا تفكر، و تحول العلم إلى جزء من شخصيته، و تعلّم علماً يفيده، و كان تعلمه لهدف مقدس.

الدعوة إلى التفكر:

- ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1].
- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].
- ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[3].
- ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾[4].

(١) العنكبوت: ٦٩

(٢) النحل: ١١

(٣) آل عمران: ١٩١

(٤) محمد: ٢٤

- وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « **كان أكثر عبادة أبي ذر رحمه الله التفكّر والإعتبار** »[1].
- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **فكرة ساعة خير من عبادة سنة، ولا ينال منزلة التفكر إلا من قد خصه الله بنور المعرفة والتوحيد** »[2].
- وقال الإمام علي عليه السلام: «**فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة**»[3].

كم هائل من الآيات القرآنية ومن الأحاديث الشريفة التي تدعو وتحث الناس إلى التفكير والتفكر، فكل مخلوق أوجده الله سبحانه وتعالى لهدف وكل عمل يقوم به مرتبط بهدف، فالصلاة ليست بالقيام والدعاء فقط، والصيام ليس بالامتناع عن الأكل والشرب فقط، إنما بما تتركه من آثار معنوية ولمعرفة باطن الأمور علينا بالتفكر ، فالعبادات يجب أن تقام على بصيرة وإلا ما الفائدة منها، كمثل من يقرأ القرآن ليلاً ونهاراً ولكنه ضل الطريق المستقيم وتاه عن الله عز وجل، فما الفائدة من مواظبته على قراءة القرآن ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ

(١) وسائل الشيعة – ج ١٥ – الصفحة ١٩٧

(٢) بحار الأنوار – ج ٦٨ – الصفحة ٣٢٦

(٣) غرر الحكم: ٦٥٣٧

حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[1]، بل إن المطلوب هو العمل عن معرفة و بصيرة.

مطلوب من المؤمن الرسالي الاجتهاد في الحصول على المعرفة و البصيرة، ولابد له أن يبحث عن المعرفة الصحيحة ويبتعد عن المنحرفة، ذلك أنه في أحيان كثيرة تتداخل الأهواء النفسية في الفكرة فتتحول الفكرة السليمة إلى ضلال حينما تفقد البصيرة، وتكون كلمة حق يراد به باطل، وما أكثر هذه الكلمات والأفكار التي حولت مسارات أمم، وما من مثال أوضح من فكرة "رفع المصاحف" في حرب صفين ضد القرآن الناطق، ألم تكن كلمة حق يراد بها باطل، فحينما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف في ذلك الهلاك قال لمعاوية:

هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟

قال: نعم.

قال: نرفع المصاحف ثم نقول ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا بلى

(١) الجمعة: ٥

نقبل ما فيها رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم.

فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعت قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل وننيب إليه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

« عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم إنهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا ومكيدة».

فقالوا له: ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله.

فقال عليه السلام لهم: **«فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم، ونسوا**

عهـده، ونبـذوا كتابـه»[1]

مطلـوب اليـوم مـن الأمـة التحـلّي بالوعـي و البصـيرة و التفكّـر في عاقبـة الأمـور، كـي لا تنخـدع بالشـعارات البرّاقـة، وتنطـلي عليهـا حيـل الظالمين، و يجـب عليهـا الاجتهـاد و الإبـداع في التفكـير في كيفيّـة الرقـى بالنفـس، وبنـاء المجتمعـات المحصنّـة الصالحـة.

تحويل الرؤية إلى مشروع:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[2]

يطـرح الله سـبحانه وتعـالى فكـرة و رؤيـة، ويقدمهـا لنـا عـلى طبـق مـن ذهـب، يقـول جـل وعـلا للإنسـان: أشـكرني أزيـد لـك في رزقـك، إلا أن الإنسـان لديـه قـصر نظـر في معرفـة الأمـور عـلى حقيقتهـا، فالإنسـان لا يمتلـك البصـيرة في أغلـب الأحيـان حيـث يقيّـم الأمـور بالظواهـر، بينـما ربنـا يقـول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ولكـن مـع الأسـف: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[3].

(١) تاريخ الطبري - ج ٤ - الصفحة ٣٤

(٢) إبراهيم: ٧

(٣) سبأ: ١٣

لكن هذا الشكر الذي يدعونا إليه ربنا ليس فقط الشكر باللسان - وإن كان مطلوباً - إلّا أنَّ الله عزوجل يريد منّا أن نحول هذه السنّة إلى مشروع عملي وننتقل من الشكر باللفظ إلى الشكر العملي..

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[1]

«فقبل أن يكون بيد الإنسان الفضل و الخير الإلهي ربما يكون مقبولاً منه الشكر القولي وحده، أمّا بعده فيجب أن يتحول هذا الشكر إلى برنامج عملي و نعني بذلك ثلاثة أمور:

- **الأول**: العمل الصالح، كما قال ربنا لنبيه داود عليه السلام: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[2]، فعلى سبيل المثال يكون الشكر العملي للمال الإنفاق في سبيل الله، و التصدق على الفقراء، و إقامة المشاريع الإسلامية، و بالتالي استخدام هذه النعمة في أهدافها المحددة.
- **الثاني**: الإبقاء و المحافظة على العوامل التي سببت الفضل و النعمة، فالعالم إنما أصبح عالماً بسبب الدراسة و القراءة و التفكير و العمل، فشكر العلم هو المحافظة على هذه العوامل، لأنها تحفظ العلم و تزيده.

---

(١) سبأ: ١٣

(٢) سبأ: ١١

- الثالث: الوصول بالنعمة الى غايتها و هدفها ، فكل شيء في الحياة وسيلة لهدف أكبر حتى يتصل الإنسان بهدفه الأعظم وهو الطاعة و التسليم لله ، فالمجاهد يقرأ حتى يتكلم ، و يتكلم مع الناس لكي يهديهم ، و يهديهم حتى تتكون مجموعة رسالية ، و تتكون هذه المجموعة من أجل العمل السياسي و العسكري و الثقافي الشامل، و ذلك يهدف إسقاط النظام الطاغوتي الفاسد ، لكي يقوم بدله حكم الله ، الذي يدافع عن المستضعفين ، و من ثم يقيم حضارة إسلامية متكاملة ، و هكذا .. فالشكر العملي إذن أن ترقى من هدف لآخر أسمى منه)[1] .

ثقل الفكرة الصالحة:

قد يتساءل البعض لماذا لا يتجه كلّ الناس نحو تبني الأفكار الصالحة و العمل بها ؟

و الجواب على ذلك بسيط.. إن للفكرة الصالحة ثقلها على الإنسان، ومن أراد الإصلاح كان بحاجة إلى صبر لتحمل تبعاته، فعندما يتبنّى الإنسان الأفكار الصالحة يواجه صعوبات كثيرة، فالمسؤولية ثقيلة، فمن لم يكن مؤمناً إيماناً حقيقياً بالفكرة

(١) تفسير من هدى القرآن – المرجع السيد محمد تقي المدرسي – سورة سبأ

الصالحة تراه يتخلى عنها عند أول منعطف و زلزال.

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: إني أحبك يا رسول الله!

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «**أبشر بكثرة الابتلاء**».

فقال: وأحب ابن عمك علياً عليه السلام.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أبشر بكثرة الأعداء**».

فقال: وأحب الحسن والحسين عليهما السلام.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «**فاستعد للفقر وكثرة البلاء**».

إنّ حمل الفكرة الصالحة يُحمّل صاحبها مسؤولية كبيرة، وهي ليست بالبسيطة، ذلك أن من أراد إصلاح نفسه من الداخل وإصلاح مجتمعه و أمته في الخارج، عليه الاجتهاد في العمل، كما أنه بحاجة إلى تحمل الضغوطات التي ستواجهه من كل جانب. كما أن مجرد التغني بالشعارات لا يحققها وإنما هي بحاجة إلى عمل مضني وجاد.

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله دلّني على عمل أتقرب به إلى الله

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تكذب**».

فكان ذلك سبباً لاجتنابه كل معصية لله لأنه لم يقصد

وجهاً من وجوه المعاصي إلا وجد فيه كذباً أو ما يدعو إلى الكذب، فزال عنه ذلك من وجوه المعاصي[1].

صحيح أنها كلمة بسيطة، لكن هذه الكلمة البسيطة في ظاهرها تعلّم الإنسان منهجاً متكاملاً، فلها تأثير على السلوك الفردي و المجتمعي، ومثلها الكثير فكم من الأحاديث والآيات التي نحفظها عن ظهر قلب ولكننا لا نطبقها، لأننا حينما نأتي إلى التطبيق نرى ثقل المسؤولية فنتهرب منها.

شمولية الإصلاح و استمراريته:

لا يستطيع أحد أن يدّعي الإصلاح دون أن يحمله كل لحظة في روحه ونفسه ، فالإصلاح ليس قضيّة موسميّة ، ولا قضيّة شكليّة ، ولا قضيّة منفصلة عن العالم الخارجي فمن أراد – مثلاً – الإصلاح السياسي في المجتمع ، فعليه أن يعلم أن الإصلاح السياسي مرتبط بالإصلاح الديني و الإصلاح الاجتماعي و الإصلاح الاقتصادي و غيره.. فهو شامل و مرتبط بكل شيء في الحياة.

لذلك يجب على العاملين الرساليين أن يعلموا أن الإصلاح شامل في المجتمع ، وإنّ إحداث إصلاح جزئي في مجال واحد

(١) جامع أحاديث الشيعة – ج ١٣ – الصفحة ٥٦٧

لـن يحـل مشـاكل المجتمـع، وعليهـم أن يأخـذوا رسـول الله ﷺ قـدوة فهـو ﷺ قـد عمـل عـلى تغيـير و إصـلاح المجتمـع الجاهلي بـكل أبعـاده، فلـم يكتـفِ ﷺ بإصـلاح الجانـب الديني فقـط.

فاقد الشيء لا يعطيه:

جـاءت امـرأة إلى رسـول الـل ه ﷺ ذات يـوم ومعهـا ابنهـا وقالـت: يارسـول الله انصـح ابني عـن أكل التمـر.

فقال لها ﷺ: « **اذهبي وارجعي لي بعد أسبوع**».

فذهبـت المـرأة، وعـادت بعـد أسـبوع كـما قـال لهـا، فنصـح ابنهـا فامتنـع عـن أكل التمـر، فقالـت المـرأة لرسـول الله ﷺ: لقـد جئتـك يـا رسـول الله قبـل أسـبوع ولم تنصـح ابني وقلـت لي: عـودي لي بعـد أسـبوع ، فلـماذا ؟

فقـال ﷺ: «**لقـد كنـت وقتهـا آكل التمـر، ولا أحـب أن أنصـح ابنـك عـن شيء أنـا أفعلـه**».

و قـال الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام: «**أيهـا النـاس، إني والله مـا أحثكـم عـلى طاعـة إلا وأسـبقكم إليهـا، ولا أنهاكـم عـن معصيـة إلا وأتناهـى قبلكـم**»[1]

فمـن أراد أن يقـوم بتأديـب النـاس فليبـدأ مـن نفسـه ، ومـن

(١) نهج البلاغة – الخطبة رقم ١٧٥

أراد أن يعلّم الناس فليبدأ بتعليم نفسه ، ومن أراد أن يصلح الناس فليبدأ بإصلاح نفسه.

كن مؤمناً لتنصح بالإيمان، زاهداً لتنصح بالزهد، حليماً لتنصح بعدم الغضب، ففاقد الشيء لا يعطيه.

و هكذا فإن المصلح لابد أن يكون قد طبّق الإصلاح على نفسه، و التزم بالمبادئ التي يدعو لها، قبل أن يدعو الآخرين لها، فهاهو الإمام الحسين عليه السلام يوصي أنصاره بالثبات و الجهاد في الوقت الذي طبق ذلك قبلهم، فلقد كان عليه السلام أكبر المجاهدين، و أعظم الثابتين، جبل راسخ لا تهزّه المصائب يتلألأ وجهه كلّما سقط من أهل بيته وأصحابه شهيد ، يقول عبد الله بن عمار بن يغوث: «فوالله ما رأيت مكثوراً قط، قد قُتل ولده، وأهل بيته وصحبه، أربط جأشاً منه -أي من الإمام الحسين عليه السلام - ولا أمضى جناناً، ولا أجرأ مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها، ولم يثبت له أحد» [1]

الإصلاح غاية عاشوراء:

منذ أن انطلقت شعلة الإصلاح في هذا العالم وهنالك

(١) تاريخ الطبري - الطبري - ج ٦ - الصفحة ٢٥٩

من يحاول إخمادها لأنها تتعارض مع مصالحه و رغباته، و حينما ارتحل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انبرت عصابة و أرادت أن تطفئ هذا النور المتوهج، ولكن الله أراد لها أن تستمر فحملها الإمام الحسين عليه السلام ليعيد لها توهجها بانطلاق ثورة كربلاء. ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1].

وقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام بشكل واضح وصريح أهداف ثورته قبل أن ينطلق إلى كربلاء في وصيته الشهيرة حيث كتب عليه السلام كتاباً لأخيه محمد بن الحنفية سمّاه « الوصية» بيّن فيه الغاية من خروجه جاء فيه:

« وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي، وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين... »[2]

فالامام عليه السلام حدد رؤيته في الانطلاق، وبين أن غايته هي

(١) الصف: ٨ - ٩

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٢٩، والمناقب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ٨٩

الإصلاح القائم على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وقد حمل الإمام الحسين عليه السلام هذه الراية في وقت كان الناس فيه بأمسّ الحاجة إلى من يعيد إليهم الصلاح والأمان بعد أن كثر الفساد في الأمة، ولعب الأمويون في مقدرات و مصائر الناس.

الحق محور الإصلاح:

إن الإصلاح بحاجة إلى فرد صالح، يتحمل مسؤولية فكرة الإصلاح في المجتمع، و يتحمل تبعاتها الشاقة والممتدة لفترة طويلة، وليستطيع الفرد أن يتحمل ذلك كله عليه أن يجعل الحق هو المحور الذي تدور حوله فكرة الإصلاح.

وهذا ما فعله سيد الشهداء عليه السلام، فقد بيّن للناس أن المحور الذي يجب أن يلتفوا حوله هو الحق، و الحق فقط، فقال عليه السلام: «.. **فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين...**»[1] لأن الله هو الحق، وهو الذي أوحى بالحق، وأراد للناس أن يسيروا على طريق الحق.

يلفت الإمام النظر إلى جانب مهم جداً وهو الجانب الإلهي من فكرة الإصلاح، فعظمة المشروع الإصلاحي

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٢٩، والمناقب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ٨٩

لواقعة الطف جاءت لأنها ارتبطت مباشرة بالله سبحانه وتعالى فالإمام عليه السلام أعطى نفسه لله عز وجل وعلى طريق الأنبياء عليهم السلام فقال في ختام وصيته: « .. **وهذه وصيتي يا أخي إليك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**».

و من أصدق من الإمام الحسين عليه السلام في مشروعه ورسالته؟

وفي إصلاحه وثورته؟

في قضيته و بطولته؟

ومن كالحسين عليه السلام في صبره و تحمله؟

لقد اختاره الله عز وجل لحمل هذا المشروع العظيم ، الذي استمرت إشعاعاته شعاعاته إلى اليوم و إلى يوم الدين، ولقد جعل الله تعالى لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً**»[1]

حب الإمام الحسين رمز الإيمان:

في ختام بحثنا عن الإصلاح نتطرق إلى نقطة جوهرية و هي الإطمئنان إلى المصلح الذي نريد أن نتبعه، فلقد ذكرنا أن

(١) مستدرك الوسائل - ج ١٠ - الصفحة ٣١٨

الفكـرة التـي ينطلـق منهـا العامـل تحـدد كونـه مصلحـاً أو مفسـداً، ولذلـك فـإنّ مـن يريـد اتبـاع مصلـح مـا عليـه أن يعـرف أهدافـه و رؤيتـه التـي انطلـق منهـا ، ثـم يتأكـد مـن سـلامة منابعـه الفكريّـة و الاعتقاديّـة ، ذلـك أن البعـض قـد يتبـع شـخصاً يحمـل شـعارات برّاقـة ولكنـه يسـير بـه إلى جهنـم والعيـاذ بـالله.

وحينـما نتحـدث عـن الإمـام الحسـين عليه السلام، فإننـا نتحـدث عـن رجـل تجسـد فيـه الإيـمان كلـه، فهـو الإمـام المعصـوم الـذي ارتبـط بالحـق ودافـع عـن الحـق واستشـهد مـن أجـل الحـق.

يذكـر آيـة الله الشـيخ جعفـر التسـتري[1] مؤلـف كتـاب «الخصائـص الحسـينية» قصتـه مـع الإمـام الحسـين عليه السلام في مقدمـة كتابـه ، و يبـيّن لنـا كيـف اختـبر إيمانـه بحبـه للإمـام الحسـين عليه السلام، وحـاور نفسـه حـوار عقـل ومنطـق، واهتـدى للطمأنينـة والسـكينة بالحسـين عليه السلام، يقـول رضـوان الله عليـه:

«إنـه لمـا اشـتعل الـرأس شـيباً و امتـلأت العيبـة عيبـاً، ورأيت أني ذرفـت عـلى السـتين، ولم أظفـر بعـد عـلى ثمـرة ولا حاصـل

(١) هـو العـالم الزاهـد الشـيخ جعفـر التسـتري بـن الشـيخ حسـين الـذي يرجـع نسـبه الى بنـي النجـار، مـن أعـلام علـماء الإماميـة ومراجعهـم في القـرن الهجـري الثالـث عـشر، صاحـب المؤلفـات العديـدة في المعـارف الإسـلامية فقهـاً وأصـولاً وعقائـد ومواعـظ، وقـد تـوفي- رضـوان الله عليـه- ليلـة زيـارة الأربعـين العشريـن مـن صفـر سـنة ثـلاث وثلاثمائـة وألـف للهجـرة في محافظـة كرمانشـاه الإيرانيـة وهـو في طريـق زيارتـه الى العـراق لزيـارة مـولاه الحسـين عليه السلام

لأيامي الماضية، وعلمت أن الباقي يمضي على نحو الماضي، خاطبت النفس الجانية اللاهية:

يا ويحك مضى ربيع الشباب، فلا تعطف عليه خريف الشيب، فلا يفتك الافل، وقد أسرفت في اتلاف اكرار من البذر، فلا تُضع الحفنة الباقية من البذر، وقد ضيعت في المتجر النقود من رأس المال، فلا تضيع قليل المتاع الكاسد البائر.

ثم ايقظتها التنبه التنبه فقد شارفت العقبة الكؤود والرجل حافية ومالك مركب! .. ثم صحتُ عليها بقول إمام المتقين عليه أفضل صلوات المصلين: « **أيها اليفن الكبير، قد لهزه القتير، كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق، ونشبت الجوامع حتى أكلت لحوم السواعد**».[1]

وبعد ذلك كله حصل لي تنبّه يسير، وتذكّر قليل، مع عزم فاتر، فتواردت عليّ حالات خوف وترقب من اليأس، يتبعها رجاء، يورث السكون والاطمئنان بهذا التفصيل:

لقد نظرت إلى الإيمان الذي هو مدار قبول الأعمال، ومناط حصول النجاة من الأهوال فلم أجد في نفسي علامة من علائمه، حتى أني خفت عدم وجود الذرّة المنجية من

(١)

الخلـود في النـار ، فعنـد ذلـك تحقـق الخـوف وأوشـك أن يغلـب القنـوط، ثـم :

أمعنـت النظـر في الوسـائل إلى الله، فرأيـت أني مـن أمـة محمـد المصطفـى صلى الله عليه وآله وسلم، وأني مـن الموالـين لأهـل البيـت عليهم السلام، وهـم السـبيل الأعظـم، والـصراط الأقـوم، والفلـك التـي مـن ركبهـا نجـى وسـعد، فحصـل لي الرجـاء.

ثـم إنّي أمعنـت النظـر في الوسـائل المتعلقـة بالأئمـة عليهم السلام فرأيـت أجلّهـا فائـدة، وأعظمهـا مثوبـة، وأعمّهـا نفعـاً، وأرفعهـا درجـة، وأسـهلها حصـولاً، مـا يتعلـق بسـيد شـباب أهـل الجنـة، أبي عبـدالله الحسـين عليه السلام، فرأيـت لـه خصوصيـة في التوسـل إلى الله قـد تفـرد بهـا، وامتـاز في ذلـك حتـى عمـن هـو أفضـل منـه.. بأنـه بالخصـوص بـاب مـن أبـواب الجنـة، وسـفينة للنجـاة ومصبـاح للهـدى. فالنبـي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمـة عليهم السلام كلهـم سـفن النجـاة ولكـن سـفينة الحسـين مجراهـا في اللجـج الغامـرة أسرع، ومرسـاها عـلى السـواحل المنجيـة أيسر، وكلهـم مصابيـح الهـدى، لكـن الاسـتضاءة بنـور الحسـين عليه السلام أكثـر وأوسـع، فعنـد ذلـك خاطبـت النفـس وشركاءهـا، فقلـت:

هلمـوا إلى هـذه الأبـواب الحسـينية، فـ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ

ءَامِنِينَ ﴾[1]، والى مرساة هذه السفينة الحسينية فـ﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2]، ولتكتحل أعينكم بنور الحسين عليه السلام الناظر إليكم، ثم ازدادوا شوقاً وصمموا العزم على ذلك، وهكذا استشعرت من نفسي علائم الإيمان التي يئست منها سابقاً، وعثرت بهذه الخصائص على الأعمال الصالحة. وذلك من وجوه:

- **الأول**: إنّه عليه السلام قال: « **أنا قتيل العبرة ما ذكرت عند مؤمن إلا بكى واغتم لمصابي** »[3] فوجدت ذلك في نفسي عند ذكر اسمه، فاستدللت به على وجود شيء من الإيمان لو ذرة على الأقل تنجي من الخلود في النار.
- **الثاني**: إني وجدت أنّه إذا دخل شهر المحرم عرضت لي الكربة والحزن والتأثر، فاستدللت بذلك على أثر من ولاية الأئمة عليهم السلام فإنهم قالوا: « **شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا**»[4]، وقد دلت الأخبار على ظهور الكآبة والحزن على أئمتنا مع دخول شهر المحرم.

---

(١) الحجر: ٤٦

(٢) هود: ٤١

(٣) المنتخب للطريحي: ٦٨ و ٤٤٧.

(٤) شجرة طوبى - ج ١ - الصفحة ٣

فكان الإمام الصادق عليه السلام لا يُرى ضاحكا في أيامه أبداً، وكان الإمام الرضا عليه السلام كئيباً حزيناً كاسف اللون في العشر الأوائل يعقد مجلساً للعزاء، ونساؤه من وراء الستر، فإذا دخل عليه أحد: أمره عليه السلام بالإنشاد في الإمام الحسين عليه السلام، كما في قضية دعبل الخزاعي. و كما في رواية الريان ابن شبيب حين دخل عليه أول يوم من المحرم! فقال عليه السلام: « **يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك الحسين عليه السلام فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه ثمانية عشرة رجلاً من أهل بيته**»[1]، وهكذا كان دأب سائر الأئمة المعصومين ورسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم سيدهم وأولهم وأكثرهم من عقد تلك المجالس.. فبعروض الانكسار للقلب عند هلال المحرم يستدل على ثبوت العلاقة بهم عليهم السلام، وبتفاوت التأثر تتفاوت درجات الإيمان، وعدم عروض ذلك أو عروض خلافه - كجعل هذه الأيام أعياداً - دليل على سلب الإيمان، والعياذ بالله تعالى.

- **الثالث**: نزول الهم والغم الشديد عند دخول كربلاء، وقد كان هذا من صفات أبيه عليه السلام وأخته حين دخول أرض كربلاء، مع انكسار القلب عند النظر إلى قبره

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام - ج١ - ص ٢٩٩

وقبر ولده عند رجليه كما في الرواية.

- **الرابع**: جريان الدمع عند شم تربته، كما هي صفته وصفة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.
- **الخامس**: فإنّي رأيت أن أكثر أعمالي يصح سلب أساميها عنها، لعدم الشروط والإقبال، فلا أدري أصلاتي وصومي صلاة وصوم أم لا؟! وهكذا هو حال سائر أعمالي، ولكن لاحظت أنّه لا يصح أن يسلب عن بكائي وإبكائي اسم البكاء والإبكاء على صاحب الدمعة الساكبة، ولا أقل من التباكي، وقد ورد أن «**من بكى أو أبكي أو تباكى وجبت له الجنة**».

وبعد تيقن ذلك ختمت المكالمة مع النفس، وتحقق الرجاء والواثق الخالص بالوسائل الحسينية، فتوجهت إلى صاحبها وعقدت معه عقد الوسائل بتأليف كتاب جامع لخصائصه التي امتاز بها من جميع المخلوقات حتى الأنبياء والأئمة سلام الله تعالى عليهم، وسميته بخصائص الحسين عليه السلام ومزايا المظلوم عليه السلام أرجو بفضل ربي عز وجل أن يجعله لي في ظلمات القبر ضياءً ونوراً، ومن مخاوف الفزع الأكبر أمناً وسروراً»[1].

(١) الخصائص الحسينية – من المقدمة بتصرف

و الخلاصة:

إنّ الهدف من كربلاء مستمر ، وأهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام في الإصلاح لاتزال ماثلة أمامنا، و ما عاشوراء إلا نافذة واسعة تفتح لنا آفاق جديدة نستلهم منها دروس وعبر في عملية الإصلاح على المستوى الفردي و الاجتماعي.

ثقافة

الأمر بالمعروف

و النهي عن المنكر

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

الإسلام منهج حياة و دين شمولي متعدد الأبعاد، فقد تناول مجالات الحياة المتعددة، ولم يدع مجالاً إلا فتح له مكاناً في موسوعة الدين، ولا يمكن ان نتصور وجود قصور في هذا الدين، الذي ارتضاه الله عز وجل لخلقه، فهو خاتم الأديان و أكملها، و به أخرج ربنا عز وجل الناس من الظلمات الى النور، ونحن لسنا بحاجة إلى أن يأتي شخص ما ليكمل هذا الدين فالله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين وقال عز من قائل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[2].

(١) آل عمران: ١٠٤

(٢) المائدة: ٣

لكننا بحاجة إلى فتح عيون قلوبنا لتبصر حقائق الإسلام ويجب علينا أن ننفتح على ثقافة الإسلام بوعي وبصدق ، ثم ننطلق في رحاب التطبيق والالتزام، حتى تتحول مفردات و قيم الإسلام إلى ثقافة في واقعنا المعاصر.

عمق القيم الإسلامية:

لقد أسّس الإسلام إلى مجموعة من القيم الراقية منذ نزوله كتشريع إلهي ، وكل قيمة تتكامل مع مثيلاتها لتشكِّل منظومة قيميّة شاملة تنقذ الإنسان من براثن الضياع و الهلكة، ومما لا شك فيه أنّ هذه القيم صالحة لكلّ زمان ومكان ، ولكن السؤال المهم الذي يُطرح هو:

كيف نستفيد من هذه القيم؟

و كيف نحول قيم الإسلام الى ثقافة حياتيّة نمارسها بشكل يومي في حياتنا؟

للإجابة على هذا السؤال نقول:

لابد لنا أن نقوم بالخطوات التالية في تعاملنا مع منظومة القيم:

١. الإقبال عليها بوعي و صدق و إيمان وتصديق بأنها النهج الوحيد الضامن لحياة مستقرة راقية آمنة.

٢. حسن الاستقبال لهذه القيم، و دراستها دراسة شمولية لمعرفة كل الجوانب المرتبطة بهذه القيم الإسلامية وتأثيرها على حياة الأفراد والمجتمع.

٣. التطبيق والالتزام بهذه القيم، والعمل على حثّ الناس على الالتزام بها من خلال توضيح النتائج المترتبة على الالتزام بهذه المنظومة، و الفوائد العظيمة التي سيجنونها بتمسكهم بها.

الأمر بالمعروف قيمة إيمانية:

لعل من أرقى القيم التي أسس لها الإسلام هي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وهما جزء من منظومة قيمية أوسع تتعامل مع المجتمع و تصونه من الانحراف و الانهيار.

و لّما كانت القيمة هي : « إيمان الإنسان بأهداف مقدّسة -أو مشروعة- تعطيه معايير للحكم على الأشياء والأفعال بالحسن والقبح أو بالأمر والنهي»[1]. أمكن القول أنّ المعروف هو : « تلك القيم المثلى التي فُطر الإنسان عليها ، حتى إذا ذُكّر بها استجاب لها وعرفها من أول نظرة، وعرف أن الداعي إليها إنسان حكيم ، وأنّ النظام الاجتماعي يجب أن يقوم عليه،

(١) التشريع الإسلامي - المرجع السيد محمد تقي المدرسي - ج ٣

وقد أمر الإسلام بالمعروف بصورة عامة ثم أشار الى أمثلة خاصة ، ثم جعل المعروف مقياساً للعلاقة بين الناس في أحكامه.. وهكذا فإنّ المعروف هو الذي يتقبّله ويستجيب له الإنسان بفطرته السليمة، وهو الذي تتفق عليه - عادة - مصلحة الناس جميعاً، لا مصالح طائفة أو فرد منهم فقط».[1]

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

قال الإمام الباقر عليه السلام : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول أهل الجنة دخولاً إلى الجنة أهل المعروف، وإن أول أهل النار دخولاً إلى النار أهل المنكر** »[3]، وعنه عليه السلام: «**إنَّ مِن أحب عباد الله إلى الله لمن حبب إليه المعروف ، وحبب**

(١) التشريع الإسلامي - المرجع السيد محمد تقي المدرسي - ج ٦

(٢) الأعراف: ١٥٧

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٦ - الصفحة ٢٨٨

إليه فعاله»[1]

والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أبرز سمات المجتمع الرسالي ، ذلك أن المعروف هو محور التجمع الرسالي و شعار الرساليين وقاعدة نهضتهم و تقدمهم . و الأمر به يزيدهم تماسكاً وتعاوناً ، ويعطي لحضارتهم دفعة جديدة ، ولبنيانهم قوّة ومتانة . بينما في مقابل المجتمع الإيماني نرى أن المجتمع الفاسد قائم على المنكر والأمر به ومقاومة المعروف.

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في القرآن:

ربنا عز وجل يوجِّه الناس إلى هذه القيمة الإسلامية فيقول في آيات متعددة:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2]
- ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٤ – الصفحة ٢٥

(٢) النحل: ٩٠

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[1]، فالأمر بالمعروف مما يُستنزل به النصر من عند الله تعالى، وهو هدف المهاجرين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد.

- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2]، إنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قد جعل هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .
- ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3]، فالأمة الإسلامية ليست وحدها من قامت على أساس المعروف والأمر به، و إنما كلّ الأمم الرسالية التي آمنت بالله قامت على هذا الأساس.
- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) الحج: ٤٠ - ٤١

(٢) آل عمران: ١١٠

(٣) آل عمران: ١١٣ - ١١٤

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]، يتبيّن لنا من الآيات الشريفة أن صبغة المجتمع الرسالي المؤمن هو الولاية الإيمانية، و الأمر بالمعروف محور علاقة المؤمنين ببعضهم، فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما و يجب أن تكون هذه القيمة طابع يتميز به المجتمع الإسلامي الرسالي.

- ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، إن الأمر بالمعروف من سمات المجاهدين المقاتلين في سبيل الله والمدافعين عن حرمات المسلمين، الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.
- ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]، ولعله يوجد في الأمة تجمعات مختلفة منها: المجاهدون المقاتلون، ومنها

(١) التوبة: ٧١

(٢) التوبة: ١١٢

(٣) آل عمران: ١٠٤

المجتمعون على مائدة الولاية المتحابون في الله، ومنها الدعاة الى الله، ومن أبرز صفاتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1]، تماماً بعكس صفات المؤمنين وتجمعاتهم المختلفة ترى المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.
- ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]، كما و يبين لنا الله سبحانه وتعالى أن الأمر بالمعروف قيمة ثقافية حثت عليها كل الأديان السماوية، ويبين لنا ذلك من خلال مواقع كثيرة في القرآن الكريم منها سورة لقمان، حيث يوجه لقمان ابنه ويطلب منه أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر.

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الأحاديث:

- قال رسول الله ﷺ: « **لا تزال أمتي بخير ما أمروا**

(١) التوبة: ٦٧

(٢) لقمان: ١٧

بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات، و سُلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».[1]

- قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: « **وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لخلقان من خلق الله سبحانه، وإنهما لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق**» [2].
- يقول الإمام الباقر عليه السلام: « **إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر**»[3].
- يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما أعزه الله، ومن خذلهما خذله الله**»[4].
- قال الإمام الكاظم عليه السلام:« **لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا**

(١) وسائل الشيعة – ج١١ – ص ٣٩٨ – الحديث ١٨

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦

(٣) وسائل الشيعة – الحر العاملي – ج ١٦ – الصفحة ١١٩

(٤) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٥ – الصفحة ٥٩

خياركم فلا يستجاب لهم»[1].

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن رجلاً من خثعم**[2] **جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أي الأعمال أبغض إلى الله عز وجل؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: قطيعة الرحم قال: ثم ماذا؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**»[3].
- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيت رجلاً من أمتي في المنام، قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فخلصاه من بينهم، وجعلاه مع الملائكة**»[4].

دلالات مفهوم الأمر بالمعروف:

١. إن الإيمان ليس مجرد صلة العبد بربه الكريم، بل وصلة مباركة بين العباد أنفسهم ، وهي

(١) تهذيب الأحكام – الشيخ الطوسي – ج ٦ – ص ١٧٦

(٢) خثعم بن أنمار: قبيلة من القحطانية تنتسب إلى خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات ص ٢٨٩، قيل: خثعم جبل سميت به لنزولها إياه وتعاقدها عليه، وقيل غير ذلك.

(٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٦٩ – الصفحة ١٠٦

(٤) مستدرك الوسائل – الميرزا النوري – ج ١٢ – الصفحة ١٨١

صلة الولاية بين المؤمنين والشهادة على غيرهم ، ومن آفاق شهادة العبد على الناس ، سوقهم إلى المعروف بالأمر، ومنعهم عن المنكر بالنهي .

٢. إن أبرز وسائل تحقيق المعروف ومنع المنكر هو الأمر والنهي ، وهي وسيلة تربوية وإعلاميّة.

٣. على كل مؤمن أن يهيء نفسه للقيام بدوره في إقامة المعروف و إزالة المنكر بأن يعرف حقائق المعروف والمنكر، ويتعرف على مواردهما ومصاديقهما في محيطه، ويتسلح بإرادة التحدي والمواجهة، ويحدد مواقفه في المجتمع على أساس المعروف والمنكر (لا المصالح والعواطف فقط) ، فيكون الأقرب إليه من الناس أهل المعروف والصلاح، والأبعد عنه أهل المنكر والفساد.

٤. تختلف مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باختلاف الأزمنة والأمصار ، فإذا كانت الوسيلة الأقرب إليهما ، إقامة المؤسسات التربوية والتثقيفية (روضات الاطفال – المدارس – الجامعات..)، أو تأسيس المراكز الإعلامية (دور النشر – اذاعات مسموعة ومرئية..)، أو تكوين تجمعات إلهية (هيئات – جمعيات – أحزاب..)، أو بناء مؤسسات خيرية (حسينيات – صناديق خيرية –

مستشفيات..)، أو أية وسيلة أخرى ، فإن على الأمة أن تسعى إليها جاهدة ، حتى تقيم المعروف وتزيل المنكر. ذلك لأن الأمر بالمعروف كناية عن إقامته ولعل الأمر اللفظي أبرز مظاهره وليس كل مصاديقه وكذلك النهي عن المنكر.[1]

فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عندما ينتهي الإنسان من بناء منزله -على سبيل المثال- فإنّه يرغب في الحفاظ عليه سالماً من التلف، و لذلك فهو يبحث عن شركة صيانة تقوم بأعمال الصيانة الدورية لهذا المنزل، وإلا فإن هذا المنزل بعد فترة يتلف ورويداً رويداً يبدأ بالانهيار، كذلك مباني الشركات أو الوزارات أو أي مبنى آخر فإنهم جميعاً بحاجة إلى الصيانة للحفاظ عليهم من التلف، بل حتى الإنسان فهو بحاجة إلى صيانة معنوية ومادية، أما المادية: فإن هذا الجسد إذا لم تعتنِ به، وتراجع الطبيب فإنه يتعب و يمرض و يتلف ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن لبدنك عليك حقاً**»[2]، فإذا لم تصن جسمك وتحافظ عليه وتعالجه أثناء المرض فلن يستطيع أن ينجز الأعمال التي كُلّف بها.

(١) التشريع الإسلامي - المرجع السيد محمد تقي المدرسي - ج ٦

(٢) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج ٢ - الصفحة ٥٩١

وأما معنوياً فروح الإنسان بحاجة إلى صيانة دورية أيضاً تضمن عدم انحرافها عن الطريق المستقيم، فالإنسان يتعرض يومياً إلى تحديات عديدة، حيث يترصد به الشيطان، فإن لم تكن نفسه قوية، فلن يتمكن من محاربة الشيطان، فعلى سبيل المثال يتعرض المؤمن يومياً في أوقات الصلاة إلى محاولات إشغال و إلهاء عن الصلاة ، فالشيطان يريد منه أن يؤخر صلاته، وأن يشتت تفكيره فيها، فإن لم يراقب الإنسان نفسه و يحافظ عليها فإن الشيطان سيتمكن منه.

وهكذا فإن كل مشروع بحاجة إلى صيانة ، سواء كان مشروعاً اجتماعياً أوسياسياً أو فكرياً أوغير ذلك فهو بحاجة إلى صيانة، فالأمة الإسلامية دوماً بحاجة إلى المراقبة و الصيانة، ومن هنا كان تشريع الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، هو للحفاظ على استقامة الفرد و استقامة الأمة وتقدّمها.

عاشوراء هي الصيانة:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1]

يتساءل البعض لماذا إحياء عاشوراء؟! ولماذا تكرارها في كل عام؟!

(١) الحج: ٣٢

إن لواقعة الطف أثر عميق على الأنفس، وإن لذكر الإمام الحسين عليه السلام وقع عجيب في الأنفس، فما أن يُذكر عليه السلام حتى تستولي على الإنسان حالة من التهيؤ الكامل للاستماع لما سيقال، وهذه الحالة نراها جلية في أيام عاشوراء الحسين عليه السلام، فنرى المآتم والحسينيات قد امتلأت بالموالين الذين يترقبون بشغف أحاديث كربلاء، ويتلقفونها بشوق، فموسم عاشوراء هو موسم نشر الثقافة الرسالية ، ثقافة الإيمان، ثقافة الكفر بالطاغوت، ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي بعض الأحيان يكون المتلقي للموعظة على علم مسبق بها، و لكن في عاشوراء لكونها مرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام يكون وقعها مختلفاً، فالحسين حبل الله الممدود، و إن الحضور إلى مجالس ذكره هي صيانة معنوية و دورية لنفس الإنسان.

فثورة كربلاء منذ انطلاقتها في اليوم الأول قد رفعت شعار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فقد قال الإمام الحسين عليه السلام: « **وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**، .. »[1]، وكان الحسين عليه السلام يحمل مشروعاً إصلاحياً لهذه الأمة، فقد أراد سلام الله عليه صيانة هذه الأمة من الانحراف الكبير الذي لحق بها، ولم تكن

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٢٩، والمناقب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ٨٩

ثورته تستهدف زماناً معيناً، بل إنها امتدت إلى يومنا الحاضر، فعاشوراء لازالت إلى اليوم تعمل على صيانة المشروع الرباني الرسالي، وتصلح الأمة، وتبني كوادرها المؤمنة.

كربلاء وثقافة الأمر بالمعروف:

إن ثورة كربلاء قائمة على قيمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وما قام به الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في يوم عاشوراء هو من أجل تجذير ثقافة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الأمة، و الحفاظ على هذه القيمة حيّة في المجتمع، وإن كلّف ذلك إرخاص الأنفس و الأهلون، و إلا فإن القيم لا تبقى قائمة في المجتمع .

وقد يتساءل البعض هل نحن بحاجة إلى نشر ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل التطور الذي نعيشه في هذا الزمان؟ ومع وجود أنواع كثيرة من الرقابة المالية، و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية !!؟

صحيح أنّ البشر يتوصّل إلى طرق و وسائل لتنظيم حياته و الدفع بالمجتمع إلى الأمام من خلال تطويرها، ولكن هنالك نقطة جوهرية يجب الانتباه إليها وهي:

هل أن ما وضعه الإنسان لنفسه مبني على القيم و المثل؟

أم أنه مبني على رغباته ومصالحه؟ فمثلاً هل النظام المالي العالمي القائم اليوم وما فيه من أنظمة رقابة قائم لإنصاف الفقراء و مساعدتهم؟ أم للحفاظ على مصالح الأغنياء و ثرواتهم؟ من هنا يأتي دور ترسيخ القيم و المثل، والحث على ثقافة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، لصيانة الأمة من الابتعاد عن تعاليم السماء.

إن القيم الربانية هي القاعدة والأساس، وما سواها تبقى قوانين وضعية وثانوية ، لذلك نرى أن الإمام الحسين للحفاظ على هذه القيم يقدم نفسه و أهله كضريبة للتمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على خطى الأنبياء عليهم السلام.

وها هو أمير المؤمنين عليه السلام يبين لنا موقفه الصريح من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فقد جاء له رجل في وقعة صفين وقال له: ترجع إلى عراقك ونرجع إلى شامنا.

فقال عليه السلام: «**إن الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في جهنم**»[1].

(١) نهج السعادة – الشيخ المحمودي – ج ٢ – ص ٢٢٦

فلنكن كأبي ذر الغفاري:

ترى هل نستطيع أن نتحمل ما تحمله أبو ذر الغفاري ضريبة لتمسكه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ففي عصر الخليفة الثالث جسد أبو ذر الغفاري الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فطُرد وشُرد قبل أن يقتل، فكان بحق نموذجاً للمؤمن الرسالي الذي يجسد قيم الإيمان و لا يخشى في الله لومة لائم.

« لما أمر عثمان بنفي أبي ذر إلى الربذة دخل عليه أبو ذر، وكان عليلاً متوكئاً على عصاه، وكان بين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حُملت إليه من بعض النواحي، وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم. فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟

فقال عثمان: مائة ألف درهم حُملت إلي من بعض النواحي، أريد أن أضم إليها مثلها ثم أرى فيها رأي.

فقال أبو ذر: يا عثمان أيهما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير؟

فقال عثمان: بل مائة ألف درهم.

قال: أما تذكر أنا وأنت وقد دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عشياً فرأيناه كئيباً حزينا فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً، فقلنا له: بآبائنا وأمهاتنا دخلنا إليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً ثم عدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً.

فقال ﷺ: «**نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها، وخفت أن يدركني الموت وهي عندي، وقد قسمتها اليوم واسترحت منها**».

فنظر عثمان إلى كعب الأحبار، وقال له: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيئاً؟

فقال كعب الأحبار: لا .. ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه شيء.

فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب، ثم قال له: يا بن اليهودية الكافرة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك حيث قال ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾[1].

(١) التوبة: ٣٤ - ٣٥

فقال عثمان: يا أبا ذر.. إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك.

فقال أبو ذر: كذبت يا عثمان.. أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ فقال: «**لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك**»، وأما عقلي فقد بقي منه ما أحفظه حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فيك وفي قومك.

فقال عثمان: وما سمعت من رسول الله ﷺ فيّ وفي قومي؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثون رجلاً صيّروا مال الله دولاً، وكتاب الله دغلاً، وعباده خولاً، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً**».

فقال عثمان: يا معشر أصحاب محمد هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله.

فقالوا: لا ما سمعنا هذا من رسول الله.

فقال عثمان: ادع علياً.. فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان: يا أبا الحسن انظر ما يقول هذا الشيخ الكذّاب.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **مه يا عثمان.. لا تقل كذّاب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أظلت الخضراء ولا**

أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر »

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: صدق أبو ذر، وقد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ.. فبكى أبو ذر عند ذلك فقال: ويلكم كلكم قد مد عنقه إلى هذا المال ظننتم أني أكذب على رسول الله ﷺ.ثم نظر إليهم فقال: من خيركم؟

فقالوا: من خيرنا؟

فقال: أنا.

فقالوا: أنت؟! تقول إنك خيرنا؟!

قال: نعم، خلفت حبيبي رسول الله ﷺ في هذه الجبة وهو عني راض، وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة والله سائلكم عن ذلك، ولا يسألني.

فقال عثمان: يا أبا ذر أسألك بحق رسول الله ﷺ إلا ما أخبرتني عن شيء أسألك عنه.

فقال أبو ذر: والله لو لم تسألني بحق محمد رسول الله ﷺ أيضا لأخبرتك.

فقال عثمان: أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟

فقال: مكة حرم الله وحرم رسول الله، أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت.

فقال عثمان: لا ولا كرامة لك.

قال أبو ذر: المدينة حرم رسول الله ﷺ.

قال: لا ولا كرامة لك.

فسكت أبو ذر، فقال عثمان: أي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟

قال: الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام.

فقال عثمان: سر إليها.

فقال أبو ذر: قد سألتني فصدقتك، و أنا أسألك فأصدقني.

قال: نعم.

فقال أبو ذر: أخبرني لو بعثتني في بعث من أصحابك إلى المشركين فأسروني فقالوا لا نفديه إلا بثلث ما تملك.

قال: كنت أفديك.

قال فإن قالوا لا نفديه إلا بنصف ما تملك.

قال: كنت أفديك.

فقال: فإن قالوا لا نفديه إلا بكل ما تملك.

قال عثمان: كنت أفديك.

قال أبو ذر: الله أكبر قال حبيبي رسول الله ﷺ يوماً: « **يا أبا ذر وكيف أنت إذا قيل لك أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فتقول: مكة حرم الله وحرم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت، فيقال لك: لا ولا كرامة لك، فتقول: فالمدينة حرم رسول الله ﷺ، فيقال لك: لا ولا كرامة لك، ثم يقال لك: فأي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ فتقول: الربذة التي كنت فيها على غير دين الاسلام، فيقال لك: سر إليها**».

فقلت: و إن هذا لكائن. فقال ﷺ: « **اي والذي نفسي بيده إنه لكائن**»

فقلت: يا رسول الله ﷺ أفلا أضع سيفي هذا على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً:

قال ﷺ: «**لا اسمع واسكت، ولو لعبد حبشي، وقد أنزل الله فيك وفي عثمان آية**»

فقلت: وما هي يا رسول الله؟

فقال ﷺ: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ

﴿بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]»[2].

تُرى ما الذي أوصل أبا ذر الغفاري إلى هذه المنزلة العظيمة ليقول عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر**» و ليخرج أمير المؤمنين وسبطى سيد المرسلين عليهما السلام إلى وداعه عند خروجه من المدينة!!؟

بلا شك لم يكن فقط بفضل الصلاة والصيام، بل بسبب تحمله لكل ما أصابه من أذى في قبال تمسكه بهذه القيمة الإسلامية الأخلاقية العظيمة: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

فقدان ثقافة التواصي:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[3]

في ظل الغزو الثقافي الذي نعيشه كمجتمع، وانتشار

(١) البقرة: ٨٤ – ٨٥

(٢) تفسير القمي – علي بن إبراهيم القمي – ج ١ – الصفحة ٥١–

(٣) العصر: ١ – ٣

مفاهيم لا تتناسب و واقع قيمنا ومبادئنا أصبحت ثقافة التواصي بين المؤمنين، والصبر على الحق قيم مفقودة. فإذا أراد المؤمن في هذا الزمان أن يتواصى بالنصيحة لأخيه المؤمن اعتقد الآخر بأنه جاء لمحاربته والقيام عليه، بل إن الأمر تعدى ذلك حتى بات الابن يعتقد بأنه أعقل من والداه، و الأب لا يستطيع نهي ابنه عن فعل المنكر، فضاعت القيم و غابت النصيحة في المجتمع، ألا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدين النصيحة**» و «**لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه**»[1].

لقد ضيّقنا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و حدّدناه بمحددات واهية مصطنعة، فحدّدناه بأصول وضعناها وليس بأصول الدين، فتم تضييق حدود هذه القيمة الأخلاقيّة بما يتناسب مع وضعنا، و حددناها بإطارات ضيّقة جداً، وفوق ذلك بحثنا لأنفسنا عن مبررات للتملص من هذه القيمة ، من قبيل: (كلامنا غير مقبول لدى الآخرين)، فأغلقنا باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وبدأت تختفي هذه الثقافة من مجتمعنا.

لقد انتشر الفساد في الأرض، وغابت ثقافة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، ولعل الفساد الأخلاقي المتفشي في بلادنا

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – الصفحة ٢٠٨

من أظهر مظاهر الفساد في الأرض، فهو منتشر في كل مكان، في المدارس و الجامعات، و علاقات خارج الحدود الإلهية، وخارج الأطر الدينية، علاقات محرمة بين المتزوجين، و ماكل ذلك إلا نتاج اختفاء ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالإنسان عندما يرتكب خطيئة - و إن كانت صغيرة- و لا يجد من ينصحه ويردعه عن ذلك يتمادى حتى تصبح الخطيئة الصغيرة كبيرة.

ولو فكّرنا في وجود الخمر في البلاد الإسلامية ، كيف وصل حال بلادنا أن يباع الخمر علانية، فبالرغم من أننا جميعاً متفقون على حرمته إلا أن جميع الجماعات الموجودة فشلت في وضع حدٍ لبيع الخمور ، وكلّ ذلك بحجج واهية، و أسوأ تلك الحجج قول البعض: يجب أن تبقى بلادنا مفتوحة، فإن أغلقنا سوق الخمر أُغلق اقتصاد البلد، ترى أيهما أهم إقامة حدود الله وتطبيقها؟ أم بقاء اقتصاد البلاد؟ و الحال أنّه لو طبقنا شرع الله فإن أبواب الرحمة تنفتح لنا، وتزداد أرزاقنا، أليس الله عزوجل يقول: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون .

الأسلوب الأرقى في الدعوة:

مما لا شك فيه أن الناس مختلفون في طباعهم و عاداتهم، وفي تقبلهم للنصيحة، فهنالك من يتقبل النصيحة و إن كانت بشكل مباشر، وهنالك من يرفضها، لذلك نرى القرآن و أحاديث أهل البيت عليهم السلام تؤكد على أهمية اختيار الأسلوب المناسب و الطريقة الأرقى للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، يقول عزوجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

ينقل لنا التاريخ قصة جميلة عن المحقق الشيخ ميثم البحراني[2]، وبراعته في الدعوة بالأسلوب غير مباشر، حيث أراد الشيخ أن يقضي على ثقافة المظاهر و التعظيم القائمة على

(١) النحل: ١٢٥

(٢) هو الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ولد عام ٦٣٦هـ في البحرين، و كان (قدس سره) مشهوراً في عصره؛ حتّى أُطلق عليه: لقب المحقّق، و زبدة الفقهاء و المحدّثين. قال عنه السيّد محمّد باقر الخونساري(قدس سره) في روضات الجنّات: «كان من العلماء الفضلاء المدقّقين، متكلّماً ماهراً، له كتب..». له مؤلفات عديدة منها: قواعد المرام في علم الكلام، منهاج العارفين في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام، استقصاء النظر في إمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام، اختيار مصباح السالكين، شرح حديث المنزلة، المعراج السماوي، مصباح السالكين، الوحي والإلهام، تجريد البلاغة، البحر الخضم، غاية النظر، آداب البحث. تُوفّي(قدس سره) عام ٦٧٩هـ في البحرين، ودُفن فيها.

أساس المال و المنصب، لا على أساس العلم و التقوى، فبعد أن توجّه الشيخ إلى العراق لزيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وبعد زيارة تلك المشاهد المشرفة، توجه إلى الحلّة، فلبس بعض ثيابه العتيقة الخشنة والرثّة، ودخل بعض المدارس المشحونة بالباحثين والدارسين، فسلم عليهم فلم يرد عليه إلا بعضهم متثاقلاً عنه، ولم يلتفتوا إليه، فجلس أول المجلس في صف النعال!

وعكف أولئك في بحثهم على مسألة دقيقة مشكلة، فأدلى فيها بدلوه وأجاب عنها بتسعة أجوبة في غاية الجودة والدقّة، فلم يلتفت إليه أحد، و بعد ذلك أحضروا طعاماً أفردوه بشئ منه على حده ولم يشركوه في مائدتهم! وانفضَّ مجلسهم فقاموا.

وفي اليوم التالي عاد إليهم وقد تعمم بعمامة كبيرة، وبملابس فاخرة ذات أكمام واسعة وهيئة رائعة! فلما دخل عليهم وسلم قاموا فرحبوا به، وأكرموه وعظّموه، وأجلسوه صدر المجلس، واجتهدوا في تكريمه وتوقيره، وبالغوا في ملاطفته ومطايبته، ثم إنّ الشيخ داخلهم في بحثهم بكلام لا مشروع ولا معقول! ومع ذلك فقد قابلوه بالتحسين والتسليم على وجه التكريم! ولما حضرت المائدة بادروا إليه بالآداب و الترحاب.

فألقى الشيخ كمه في ذلك الطعام، وقال لها: كلي يا كمي!

فاستغربوا ذلك وتعجبوا واستفسروه عن ذلك. فقال لهم: أنتم إنما أكرمتم أكمامي هذه الواسعة، وإلا فأنا صاحبكم بالأمس، جئتكم بهيئة الفقراء ولكن بسجيّة العلماء، واليوم جئتكم بلباس الجبّارين، وتكلمت بكلام الجاهلين، وأنتم رجحتم الجهالة على العلم، والغنى على الفقر..

فاعترف الجماعة له واعتذروا إليه عما صدر منهم من التقصير في شأنه[1].

وهكذا أراد الشيخ ميثم البحراني أن يعلّم الناس درساً. فكان من أروع الدروس.

خصال الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

لقد حدد الإسلام ثلاث خصال لمن يمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي:

١. عالم بما يأمر به، تارك لما ينهى عنه.

٢. عادل فيما يأمر به، عادل فيما ينهى عنه.

(١) مجالس المؤمنين ج٢ – ص ٢١٠

٣. رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه.

(علم وعدالة ورفق)، هذه ثقافة الإسلام التي يجب علينا اتباعها و تعلمها، علينا أن نبحث في الأصول والقواعد، لنعرف حدودنا ولا تختلط الأمور مع بعضها البعض، فحينما تريد أن تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر يجب عليك أن تتعلم حدود الدين وأن تتكلم بمنطق العقل، لا منطق العاطفة، فتأمر بما يروق لك ويناسبك، و تبتعد عما يتعارض مع مصالحك و رغباتك.

ونحتاج إلى عدالة في الدعوة، فلا نتحيّز لفئة دون اخرى، فحينما نرى المنكر نرفضه بغض النظر عن مصدره، فنحن ضد ثقافة التحيز لطرف بسبب قرابة أو مصلحة، يجب أن نمتلك العدالة مع أنفسنا ومع الآخرين، فالحق هو الحق سواء كان معك أو عليك.

وأخيراً نحن بحاجة إلى الرفق و اللين في الدعوة ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1] ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرغم من أن القوم كانوا يسيئون إليه بشتى الطرق، تارة برفع صوتهم، وتارة باستهزائهم، وتارة بضربه، إلا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعاملهم برفق.

(١) آل عمران: ١٥٩

الأمر بالمعروف عمل جمعي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقافة جمعية و ليست ثقافة فردية فقط، ذلك أنّ الإسلام يدعو إلى العمل الجمعي، و إلى العقل الجمعي، و إلى روح التعاون، و ليس إلى الروح الأحادية والفئويّة والذاتيّة، فالأمة مسؤولة عن تصرفات أفرادها، وهدايتهم إذا انحرفوا عن الطريق، فلو أن رجلاً في المجتمع اتخذ من الغش و الكذب أسلوباً للتكسّب وتركه الناس بحجّة أنه حر في تصرفه، ولم يهدوه ويأمروه بالمعروف، عن ذلك سيستشري هذا المرض بين بقية التجار، ولربما يتحول إلى ظاهرة عامة في المجتمع، لذلك يطلب الإسلام منا جميعاً أن نتحمل مسؤوليتنا كل في موضعه ومكانه كي لا يعم الفساد في المجتمع.

إذن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عمل جمعي يجب على أفراد الأمة أن يتحمّلوه، بأن يعملوا المشاريع المناسبة لذلك سواء في المجال الديني أو الإعلامي أو الثقافي أو السياسي.

كلمة الحق أعظم المعروف:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وإن الأمر بالمعروف والنهي**

عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جائر»[1].

لذلك نرى أن الإمام الحسين عليه السلام نطق بكلمة الحق في وجه الطغاة، ورفع صوته عالياً معلناً رفضه لحكم يزيد الجائر، ومارس ذلك بشكل عملي منطلقاً من مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما استدعاه الوالي ليلاً وصولاً إلى مكة و خطبه المعروفه وانتهاء بثورته الكبيرة في كربلاء المقدسة.

وما حصل في المدينة يبيّن لنا موقف الإمام عليه السلام الواضح و الرافض للظلم، ولحكم يزيد، فقد كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة والي المدينة مع مولى لمعاوية يقال له ابن أبي زريق يأمره بأخذ البيعة على أهلها وخاصة على الحسين عليه السلام، ولا يرخص له في التأخر عن ذلك ويقول: إن أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

فبعث الوليد إلى الإمام الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه، فعرف الحسين عليه السلام الذي أراد فدعا بجماعة من أهل بيته ومواليه، وكانوا ثلاثين رجلاً، وأمرهم بحمل السلاح، وقال عليه السلام لهم : «**إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا**

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٤.

معي، فإذا دخلت فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني»

فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد، فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه ليزيد، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «**إني أراك لا تقنع ببيعتي سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس**»، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين عليه السلام: «**تصبح وترى رأيك في ذلك**»، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة، ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، ولكن احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فلما سمع الإمام الحسين عليه السلام هذه المجابهة القاسية من مروان الوزغ ابن الوزغ صارحهما حينئذ بالامتناع من البيعة، وإنه لا يمكن أن يبايع يزيداً أبداً، فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك وقال لمروان: «**ويلي عليك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي، كذبت والله ولؤمت**»، ثم أقبل على الوليد

فقال:

«.. إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة»[1].

وهكذا سجل التاريخ كلمة الإمام الصارخة: «**و مثلي لا يبايع مثله**»، و ظلّ صداها يتردد في الأزمان، ويتلقفها الرساليّون جيلاً بعد جيل، فيحملون مشعل الحسين عليه السلام، و يطبقون القيم التي ثار من أجلها، قيم الحق و الإصلاح و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

(١) أعيان الشيعة – السيد محسن الأمين – ج ١ – الصفحة٥٨٧– ٥٨٨

العبادة

طريق الأمان

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]

قد يصبر الإنسان على الجوع، وقد يتحمل العطش، وقد يتعايش مع الفقر، ولكنه يعجز عن تحمل الخوف وفقدان الأمن و الطمأنينة، ذلك أنّ الخوف يغيّر نظام حياة الإنسان، ويسلبه الراحة و النوم و الحياة المستقرّة، فهو إن خاف من الجوع بحث عن الطعام، وإن خاف من العطش بحث عن الماء، وهكذا يحاول أن يحمي نفسه دائماً بتوفير كافة الوسائل المعيشية التي تضمن له الراحة، ولكن ماذا لو بقي الإنسان خائفاً مع توفر كافة الاحتياجات؟! كيف سيعالج هذا

(١) آل عمران: ٩٦ - ٩٧

الخـوف ؟!

لقـد عمـل الإنسـان جاهـداً في البحـث عـن أسـاليب ونظريـات ووسـائل لتوفـير الأمـن لنفسـه و لمجتمعـه، فكتـب النظريـات و أجـرى البحـوث وتحـدث عـن الأمـن الاجتماعـي، و الأمـن السـياسي، و الأمـن الغذائـي، و الأمـن الاقتصـادي، والأمـن العسـكري و غـير ذلـك ، ووضـع الكثـير مـن الأنظمـة في محاولـة منـه للتقليـل مـن هاجـس الخـوف الـذي يعيشـه، و لكـن -رغـم كل ذلـك- مـازال العـالم خائفـاً.

فضيحـة وثائـق ويكليكـس - سـواء كانـت مسربـة عـن قصد أو لا - دليـل واضـح عـلى كل الخـوف الـذي يعيشـه العـالم، و تكفيـك مشـاهدة الأخبـار لسـاعة واحـدة عـلى القنـوات الفضائيـة لتعـرف بـأن العـالم قـد فقـد الأمـن وبـات خائفـاً.

لقـد سـعى الإنسـان بجـد و نشـاط مـن أجـل حـلّ هـذه المعضلـة سـواء عـلى الصعيـد الفـردي أو الجمعـي، فبـدأ بتشـكيل الأحـلاف العسـكرية و الإقليميـة و الدوليـة و الاقتصاديـة وغيرهـا، و مـع ذلـك فـإن النـاس - عـلى سـبيل المثـال - مازالـوا يعيشـون المجاعـة، فهنالـك اليـوم عـشرات الـدول التـي تعـاني من خطـر الأمـن الغذائـي، و ثمـة في العـالم اليـوم مليـار ومئـة مليـون إنسـان « أي سـدس البشريـة » تقريبـاً يعانـون مـن الجـوع وسـوء

التغذية ، وحسب معطيات الأمم المتحدة ، فإنّ سبعة ملايين طفل يموتون سنوياً بسبب الجوع ، أي حوالي ألف طفل في اليوم الواحد ، أي طفل واحد خلال كل خمس ثوان، وتظهر معطيات منظّمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة «الفاو» مدى حدة وحجم هذه المشكلة، حيث تشير هذه المعطيات إلى أنّ عشرات الملايين في العالم مهددون بالموت اليوم ، بسبب الجوع والأمراض الناجمة عن سوء التغذية ، في حين إن أكثر من مليار ونصف المليار إنسان يعانون من الجوع ومن مختلف أشكال سوء التغذية[1].

وإذا انتهى الإنسان من موضوع الأمن الغذائي وجد نفسه أمام انعدام الأمن السياسي و الحروب الطاحنة التي تدور رحاها في كل بقاع المعمورة.

المشروع الإلهي للأمن:

يقدم الإسلام مشروعاً متكاملاً يشتمل على أعظم الرؤى نحو تحقيق الأمن، و يبدد كل هواجس الخوف الذي تعيشه البشرية، حيث يبيّن لنا أنّ الطريق الوحيد للشعور بالأمن والاطمئنان هو معرفة الله وطاعته، فمعرفة الله تبارك وتعالى و معرفة قدرته تجعل الإنسان يشعر بالأمن حينما يلتجئ إلى

(١) http://www.resourcecrisis.com/index.php/food/745-107

القوي العزيز، ويدرك أنّ الكلّ يتصاغر أمام عظمة الرب الذي التجأ إليه، ثم إنه حينما يتقرّب إلى الله عزوجل من خلال العبادات، يجد أنّها الطريق الواسع للدخول في الرحمة الإلهية، و للحصول على الأمن والاستقرار، فاستقرار النفس البشرية هو الخطوة الأولى إلى استقرار البشرية.

يقول عزوجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[1]، فتحقيق الاطمئنان و السكون و الوصول إلى النفس المطمئنة يكون بذكر الله الخالق المنعم و بارتباط الإنسان به، فإنّ هذا الارتباط يعيد الاطمئنان للقلب في زحمة الحياة، و ذكر الله لا يقتصر على الذكر اللفظي فقط، بل هو أشمل و أوسع من ذلك، فهو يشمل كلّ أنواع التوجّه و الارتباط بالله عزوجل، لذلك فإن العبادة هي الطريق إلى طاعة الله عز وجل، و هي الطريق للأمن وللاطمئنان، ألم يقل ربنا: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ﴾[2].

إنّ الإقرار بحاكمية الله عزوجل هو سبيل بناء الأمن في المجتمع، ذلك أن الإيمان بالله والشعور بعظمته يولد لدى الإنسان شعوراً باستصغار واستحقار نفسه أمام كلّ هذه

(١) الرعد: ٢٨

(٢) قريش: ٣ - ٤

العظمة، وكلّما استصغر نفسه كلّما ازداد تقوى، كما أنه يدرك أن القوة الحقيقية هي بيد الله.

الإقرار بأنّ الحكم في هذا الكون كلّه لله يوجب على الناس الخوف منه سراً وعلانية، فلا يتجاوز أحد قوانينه، ولا يعبث في أرضه بالفساد، فلو أنّ الناس ارتبطوا بالله حقيقة، و صدقوا الله لما رأيت أحداً يتعدى الحدود، فالبائع لن يغش الناس، ولن يحتكر البضائع، والحاكم و المسؤول لن يتعدى على الناس أو يتجاوز حقوقهم، والموظف سيخلص في عمله، والطالب سيجتهد في دراسته، و رجل الدين سيكون صادقاً مخلصاً في ارتباطه بالناس، وهكذا على مختلف الأصعدة، إذا انغرس في قلوب الناس الخوف من الله عز وجل فإنّه من الطبيعي أن يتجنبوا مخالفته.

يعرض لنا الإمام علي عليه السلام في دعائه المشهور (دعاء كميل) قاعدة من أهم القواعد التي من خلالها نستطيع أن نحقق الأمان يقول سلام الله عليه: «**لا يُمْكِنُ الْفِرارُ مِنْ حُكُومَتِك**»، إنّ الانطلاق من التأسيس على هذه القاعدة يخلق ارتباطاً فعلياً وصادقاً مع الله سبحانه وتعالى، و يتجسد صدق هذه العلاقة في عمل الإنسان سواء مع ربّه أو مع الناس في المجتمع، وهكذا فإنّ الإنسان إذا استشعر معنى حاكمية الله عزوجل على الكون، و أنّه مجرد عبد صغير عند الله الملك

الحق، عند ذاك تتغير حياته، وتتبدل سلوكياته.

ينقل لنا التاريخ قصة جميلة عن رجل تغيّرت حياته بالكامل حينما وعى معنى كلمة «العبودية»، إنه بشر الحافي[1]، ففي عصر الإمام الكاظم عليه السلام كان يعيش في بغداد رجل معروف يقال له بشر، وكان ممن يشار إليه بالبنان، وحدث يوماً أن كان الإمام الكاظم عليه السلام ماراً من أمام بيت بشر، وكانت أصوات اللهو والطرب تملأ المكان، فصادف أن فتحت جارية باب الدار لإلقاء بعض الفضلات، وحين رمت بها في الطريق سألها الإمام عليه السلام قائلاً: «**يا جارية! هل صاحب هذه الدار حر أم عبد؟!**»

فأجابته الجارية وهي مستغربة سؤاله هذا و بشر رجل معروف بين الناس، وقالت: بل هو حر!! فقال الإمام عليه السلام: «**صدقت، لو كان عبداً لخاف مولاه**».

قال الإمام عليه السلام هذه الكلمة وانصرف. فعادت الجارية إلى الدار وكان بشر جالساً إلى مائدة الخمر، فسألها: ما الذي أبطأك؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام عليه السلام، وعندما سمع ما نقلته من قول الإمام عليه السلام: «**صدقت، لو كان عبداً**

(١) بشر الحافي: هو أبو نصر بشر بن الحارث، أصله من «مرو»، ولد عام ١٥٠ هـ (٧٦٧ م)، وتوفي عام ٢٢٧ هـ (٨٤١ م) عاش في بغداد، وكان زاهداً مشهوراً

لخاف مولاه» اهتز هزاً عنيفاً أيقظه من غفلته، وأيقظه من نومته، نومة الغفلة عن الله. ثم سأل بشر الجارية عن الوجهة التي توجه إليها الإمام، فأخبرته فانطلق يعدو خلفه، حتى أنّه نسي أن ينتعل حذاءه. وكان في الطريق يحدّث نفسه بأن هذا الرجل هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وفعلاً ذهب إلى منزل الإمام فتاب على يده، واعتذر وبكى، ثم هوى على يدي الإمام يقبلها وهو يقول: سيدي أريد من هذه الساعة أن أصبح عبداً ولكن عبداً لله، لا أريد حرية الخوض في مستنقع الذنوب وأغدو أسيراً لها، من هذه الساعة أريد أن أصبح عبداً لله ولله وحده، حُراً تجاه غيره.

وتاب بشر على يد الإمام الكاظم عليه السلام، ومنذ تلك اللحظة هجر الذنوب ونأى عنها وأتلف كلّ وسائل الحرام، وأقبل على الطاعة والعبادة.

إنّ الإسلام يقدم أعظم نظرية في بناء الأمن وذلك من خلال الإقرار بحاكمية الله عزوجل و عبادته تعالى، فالعبادة بابٌ للدخول إلى عالم آمن و مستقر، ويمكن أن نضرب مثالاً واضحاً على ذلك من خلال فريضة الحج ، حيث يتجلى هذا المظهر الأمني في هذه العبادة.

الحج و بناء الأمن:

يُعد الحج أكبر ملتقى إسلامي يجمع المسلمين، حيث ينعقد مرة في كلّ عام، وفيه يحترم الناس بعضهم بعضاً، ويحترمون السلم والتسالم، و يراعون حقوق الآخرين، لا تمايز بين أحد، فالجميع سواسية في الحج، لبسهم من خام ولون واحد، تضيع الفوارق بينهم، و تتلاشى الجغرافيا وكلّ الجوانب المادية والمعنوية بل و حتى الفوارق الطبقية، فتختفي كلّ الألوان ويبقى لون الصفاء و الإيمان، فعندما يتحقق كلّ ذلك تذوب كلّ الفواصل والاختلافات فيتمازج الناس و يندمجون، لقد سقطت الاختلافات، فالمسلم يرى أخاه المسلم على حقيقته، أخاً له وفي مستواه، الجميع متساوون، يبتعد الناس في هذا الموسم الربّاني عن كلّ ما من شأنه أن يؤدي إلى التصادم فيتحقق الأمن المادي و الاجتماعي والسياسي.

وقد تسأل: و كيف يتحقق كلّ ذلك رغم كثرة الناس القادمين من مشارب مختلفة، واختلاف أفكارهم، وتعدد انتماءاتهم، وتفاوت مستوياتهم؟

يقول عزوجل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]، فالله عزوجل قد جعل من بيته بيتاً لكل

(١) آل عمران: ٩٦

النـاس، يسـعهم جميعـاً عـلى اختـلاف مشـاربهم وأذواقهـم وألوانهـم و طوائفهـم ومذاهبهـم وطبقاتهـم، فالجميـع يفـد إلى هـذا البيـت، ويجتمعـون فيـه، فيتمحـورون حـول بيـت واحـد، ورب واحـد، و في زمـان واحـد، فالبيـت يسـعهم جميعـاً.

عـادة مـا يطـوف النـاس في مسـيرة حياتهـم حـول مصالحهـم، حتـى أن البعـض يتصـور أنّـه لكـي يحصـل عـلى مصلحتـه لابـد لـه مـن إزاحـة الآخـر، أو الصعـود عـلى أكتـاف الآخريـن، وهـذا غـير صحيـح، فالإنسـان ليـس بحاجـة إلى التصـادم مـع أخيـه للحصول عـلى رزقـه أو تحقيـق مكاسـبه، بـل إن الجميـع قـادر عـلى الوصـول إلى مبتغـاه في سـلم وتناغـم، ولذلـك فـإنّ الله عزوجـل في الحـج يُظهـر لنـا هـذه الحقيقـة، فالنـاس جميعـاً يطوفـون في دائـرة واحـدة، متراصـين متكاتفـين متعاونـين، ولـكل واحـد منهـم موقـع عـلى الأرض، ولـكل واحـد أيضـاً طريـق، ولكنّهـم في النهايـة متكاتفون متراصـون يشـكّلون مـع بعضهـم دائـرة واحـدة، تضيـع فيهـا تفاصيلهـم ويبقـى هدفهـم الواحـد الـذي يسـعون لـه، فـما أروع هـذه الصـورة التـي تُظهـر تلاحمهـم وتماسـكهم رغـم اختلافهـم.

عـادة مـا يـأتي الخـوف ويضيـع الأمـن بـين النـاس حينـما تتعـارض المصالـح وتتشـابك، فـكلٌ يظـنّ أنّ الآخـر سـينازعه للوصـول إلى مصلحتـه، وسـيأخذ مكانـه و سـلطته، وكلّ ذلـك يسـبب ضغطـاً عليهـم، فيعيـش النـاس في نـزاع وصراع، بينـما هـم

في الحقيقة قادرون على التعايش فيما بينهم، و الحصول على رغباتهم دون الحاجة إلى هذا النزاع، ولذلك فإن الله عزوجل يريد منّا أن نشاهد هذه الصورة في الحج، ويقول لنا: إنكم تستطيعون أن تتفقوا و أن تتوحدوا و تتكاملوا وتتعاونوا، حتى وإن كانت المصالح متعددة، أو الألوان مختلفة، و الجنسيات متفاوتة، فأنتم تستطيعون ذلك.

في الحج تسقط جميع الاختلافات بين الناس ، و يشاهد كلّ واحد منهم الآخر على حقيقته بدون مظاهر خادعة، فالجميع متساوون، لا عالم و لا حاكم ولا تاجر ولا غني ، بل الجميع بشر عاديّون يتمايزون بتقواهم فقط، تضيع كلّ الألوان، وكلّ الفوارق الطبقية والاجتماعية والعلميّة، وكلّ شيء يضيع، يتسالم الناس و يتصالحون، ويتواضع كلّ منهم للآخر، ويبتعد الناس عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى التصادم، كلّ ذلك كي يعرف الناس أنّه ليس بالضرورة أن يتناقضوا مع بعضهم البعض، نعم قد يختلف الناس مع بعضهم البعض، و لكن ليس بالضرورة أن يؤدي هذا الاختلاف إلى التصادم و التنازع، فهاهم في الحج يحترمون الحياة، ويحبون السلم والسلام، ويقدّرون بعضهم البعض، كلّ ذلك من خلال هذه العبادة العظيمة، التي تحقق للناس الأمن المادي و المعنوي، حيث يخرج الجميع من عرفات وقد غُفرت ذنوبهم جميعاً.

نعم إنه منظر غاية في الروعة، يتكرر مرة في كلّ عام عندما يتمحور المسلمون حول بيت الله متراصّين متكاتفين متعاونين يطوفون حول حقيقة التوحيد.

إسقاط الحج على واقعنا:

لما كان الحج هو القصد، و المقصود إليه هو الله عزوجل، فإنّ الناس في الحج يلتزمون بتعاليم الرب الذي يقصدونه، فلا يقتلعون الشجر، و لا يقتلون الحيوانات، ولا يتخاصمون، فيتحقق لهم في إحرامهم الأمن بكلّ أنواعه؛ الأمن البيئي و الأمن الاجتماعي و الأمن السياسي و الأمن المعنوي، وهنا يأتي السؤال المهم: ماذا لو حملنا معنا هذا الإحرام في قلوبنا، و حافظنا على جوهر المناسك ونحن عائدون من الحج فتحرم قلوبنا كما أحرمت جوارحنا؟! إذن لرأينا العجائب في مجتمعاتنا.

الحج ليس فقط مظاهر بل جواهر، وجواهره هي المطلوبة، ولذلك حينما نعود من الحج يجب أن نسأل أنفسنا:

هل لازلنا نعتبر حرمات الله مقدسة، فنصون حقوق الناس، ونحافظ على حقوق البيئة من حولنا؟

هل لازلنا نعيش السكينة و الطمأنينة التي عشناها لحظات الإحرام؟

هـل مازلنـا متمسـكين بالقيـم التـي حملناهـا في لحظـات الإحـرام؟

هـل مازلنـا نعتـبر أنفسـنا متسـاوين مـع كل النـاس كـما كنـا في لحظـات الطـواف؟

إنّ الله عزوجـل يريـد منّـا أن نتجـاوز الصـورة الظاهرية للحج و ننتقـل إلى عمـق الجوهـر، فحجّنـا لا ينتهـي بانتهـاء المناسـك بـل بهـا يبـدأ، يقـول أسـتاذنا سـماحة آيـة الله السـيد هـادي المـدرسي:

« الحجُّ حجّان:

حجّ يقترب المرء فيه إلى البيت.

وحجّ يتقرّب فيه إلى ربّ البيت.

حجّ يرحل المرء فيه إلى الأرض المقدّسة.

وحجّ يرتحل فيه إلى الروح المقدّسة.

حجّ يترك المرء فيه عياله.

وحجّ يهتم فيه بعيال الله.

حجّ يسافر المؤمن فيه إلى بيت الله بجسده.

وحجّ يقيم بيت الله في روحه.

حجّ إلى الكعبة ينتهي.

وحجّ من الكعبة يبتدئ.

حجّ يلبس فيه الحاج لباس الإحرام.

وحجّ يلبس فيه لباس التقوى.

حجّ يطلب فيه مقام إبراهيم، ليصلّي فيه.

وحجّ يطلب فيه إبراهيم، ليقتدي به.

حجّ يهرول فيه المرء في المسعى.

وحجّ يعرج فيه إلى السماء.

حجّ يطلب الحاج فيه مِنى.

وحجّ يترك فيه ما تمنّى.

حجّ يطلب المرء فيه الدار.

وحجّ يبحث فيه عن الديّار.

حجّ يعود المرء منه ليقول: لم أر ربّي.

وحجّ يعود منه ليقول: لم أكن لأعبد ربّاً لم أره.

حجّ يترك المرء فيه الفسوق والعصيان في حين الإحرام.

وحجّ يترك فيه المعاصي في جميع الأيام»[1].

(١) ٣٥ حكمة من حكم الحج – سماحة آية الله السيد هادي المدرسي

ولكي نحافظ على جوهر الحج بعد عودتنا لابدّ لنا من:

١. المحافظة على تلبياتنا لله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال طاعته و عبادته عز وجل على مدار العام.

٢. استشعار مراقبة الله عزوجل لنا دائماً وبالتالي فعل كلّ ما يرضيه وتجنّب كلّ ما يسخطه.

٣. قطع العلاقة مع الشيطان وحزبه، و عدم فتح أي مجال للشيطان للتدخّل في أعمالنا.

٤. الاستمرار في احترام حقوق كلّ من يعيش معنا على هذه الأرض من إنسان، أو حيوان أو نبات.

٥. توحيد الأهداف وجعل رضا الله غاية كل شيء.

٦. تغيير أنماط تفكيرنا و سلوكياتنا ، و تحويل المصلحة الفرديّة إلى جماعيّة، وذلك من خلال التفكير في حاجات المجتمع ككل وليس فقط النظر إلى مصلحتنا الشخصيّة.

٧. تحمل المسؤوليات الملقاة علينا تجاه إخواننا في كلّ بقاع الأرض.

إذا استطعنا أن نعود من الحج و قد حملنا معنا روح الحج و جوهره سنرى أن الطاعة لله عزوحل قادرة على أن تزيح كلّ الخلافات التي نعيشها، فكما استطعنا أن نطوف حول البيت

الحـرام متراصـين مـع بعضنـا رغـم اختلافنـا، فإننـا نسـتطيع أن نطـوف في هـذه الحيـاة لمصلحـة واحـدة وهـدف واحـد و هـو رضـا الله سـبحانه وتعـالى، و حينهـا نكـون قادريـن عـلى الاتحـاد و التعـاون و التكامـل، وإن كانـت المصالـح متعـددة والألـوان والجنسـيات مختلفـة، و بالتـالي يتحقـق لنـا الأمـان المفقـود.

الصراعات والأمن للجميع:

مـع تزايـد الصراعـات في عالمنـا وتشـعبّها إلى صراعـات فرديـة، وجماعيـة، ودوليـة، وإقليميـة، و عالميـة تمتـد لتشـمل العـالم أجمـع تـزداد الحاجـة إلى توفـير الأمـن لهـذا العـالم، ولذلـك نـرى أنّ كلّ دولـة تبحـث عـن حلـول تحقـق اسـتقرارها، و لكـن الإنسـان يخطـئ في بحثـه عـن الأمـن لأنـه يبحـث عـن الأمـن الفـردي فقط، و الواقـع إن الأمـن جماعـي، وليـس فـردي فقـط، فـلا يمكـن أن يقـول شـخص: سـأصنع الأمـان لنفسـي و لا يهمنـي باقـي النـاس، وهـذا مـا نشـاهده اليـوم في عالمنـا، فهـل تحقـق الأمـن للقلـة الغنيـة التـي تركـت العـالم يمـوج في فقـر مدقـع؟ وهـل نجـت الـدول الكـبرى التـي صـدّرت القتـل و الحـروب لـكل بقـاع العـالم؟

لذلـك فـإن الإسـلام في علاجـه لمشـكلة الخـوف يضـع حلولاً للمجمـوع و ليـس للأفـراد وحدهـم، و يرفـض النظريـات الماديـة القائمـة عـلى الاهتـمام بـ"الأنـا" عـلى حسـاب "المجمـوع"، يقـول

رسول الله ﷺ: «**ليس بمؤمن من بات شبعان ريان وجاره جائع ظمآن**»[1]. وقال أيضا ﷺ: «**ما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة**»[2]

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ثلاثة أشياء يحتاج الناس طراً إليها: الأمن. والعدل. والخصب**[3] »[4] فهي ثلاث أركان مرتبطة ببعضها البعض، وهي للجميع، وبها يتحقق الاستقرار، واهتزاز ركن واحد منها يؤثر على الاستقرار العام، فبالأمن تطمئن النفوس، وبالعدل تصاب الحقوق وتصان، وبالخصب، يُقضى على الفقر والعوز.

إحرام الحسين عليه السلام:

بينما قوافل الحجيج تتجه نحو عرفات ، وإذا بقافلة صغيرة تغادر مكة، إنها قافلة الإمام الحسين عليه السلام ، نعم لقد أحل الإمام الحسين عليه السلام من إحرامه في اليوم الثامن وخرج من مكة متجهاً إلى كربلاء وسط دهشة واستغراب من الحجّاج، فقد كانوا يتمنّون الحج مع سيد شباب أهل الجنة عليه السلام،

(١) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ١٦ – الصفحة ١٠٠

(٢) المصدر السابق

(٣) الخصب – بالكسر –: كثرة العشب والخير

(٤) تحف العقول – ابن شعبة الحراني – الصفحة ٣٢٠

لقد كانوا ينتظرون سماع دعاء يوم عرفه بصوته الشجي، هذا الدعاء العظيم الذي يُبكي العقل والقلب والعاطفة و الوجدان، ولكن الإمام عليه السلام وقف في جموع الناس وخطب فيهم خطبة أذهلتهم، فقد قال سلام الله عليه:

« الحمد لله، وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم..

خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا، فيملآن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه، وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله »[1]

إذن الإمام الحسين عليه السلام يعلن مشروع الشهادة ، ويطلب من الناس الالتحاق به، ويدعوهم إلى التخلي عن المظاهر، ويحثهم على البحث عن جواهر العبادات، فالعبادة ليست

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٤٤ – الصفحة ٣٦٦ – ٣٦٧

بالحركات بل العبادة بالمواقف، إنّ الصلاة الحقيقية هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، والحج الحقيقي هو الذي يقصد به الحاج وجه الله عز وجل، فيرى الله أمامه في كل مفترق طريق، فيظل قلبه محرماً طوال العام، إنّ الإمام عليه السلام يعلم قدسية الإحرام، و يعلم محرماته، ولكنه يُحل منه ليرسل رسالة توعوية امتدت عبرتها ليومنا هذا وللعالم كله، فالإمام يريد أن يقول لنا: « ابحثوا عن جوهر العبادة، وتمسكوا بهذا الجوهر لكي تحصلوا على الأمن المنشود، فالأمن ينبغي أن يكون داخل الحرم وخارجه، ولن يتحقق هذا الأمن العالمي إلا بإحرام القلوب والنفوس».

لقد أراد الإمام عليه السلام أن يكشف فساد النظام الأموي، الذي تمثل في ذلك الوقت في الطاغية يزيد، أراد أن يكشف الظلم والتجاوزات، أراد أن يكشف الزيف الذي يعيشه الناس في ظل حكم الظالمين ، ولذلك أحل سلام الله عليه من إحرامه.

لنحرم مع الحسين عليه السلام :

صحيح أن الإمام الحسين عليه السلام أحل من إحرامه، لكن قلبه عليه السلام بقي محرماً دوماً، وصحيح أنه عليه السلام خرج من مكة ولكن شعائر الحج بقيت ماثلة أمامه دوماً، ترى هل نستطيع

أن نجعل من عاشوراء المحطة الأولى لإحرام قلوبنا مع الإمام الحسين عليه السلام؟

هل نستطيع أن نلبس إحرام الإمام الحسين عليه السلام؟

ترى هل نلبّي الإمام الحسين عليه السلام في ليالي عاشوراء بإحرام قلوبنا وجميع جوارحنا؟

إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الحج، وهو تجسيد القيم، فهل نستطيع أن نجسّد قيم الحج مع الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء؟

لقد تعودنا أن نردد دوماً هذه التلبية: « **لبيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأيي وهواي**»[1]، ولكن هل نفقه معنى هذه الكلمات؟ هذه التلبية توجيه لنا جميعاً فلابد أن نعتبر أنفسنا محرمين في عاشوراء، فنحفظ أعيننا عن النظر الحرام، ونصون ألسنتنا عن الكلام الحرام، ونبعد أسماعنا عن الحرام، وبالتالي نحافظ على كل جوارحنا من الانزلاق في مستنقع المعاصي.

وهنا يمكن أن نستخلص مجموعة من التوجيهات التي يجب الالتزام بها:

(١) كامل الزيارات – جعفر بن محمد بن قولويه – الصفحة ٣٨٨

١. العبادة طريق الأمان، ولكن هذا الطريق لا يأتي عبر العبادة الجوفاء التي تعتمد على المظاهر، بل يأتي عبر العبادة الحقيقية التي تنقل الإنسان من الصورة إلى الجوهر ، لذلك يجب علينا أن نبحث عن حقائق العبادات، ونتعلم من الإمام الحسين عليه السلام كيف نطبق العبادة الحقيقية في حياتنا اليومية.

٢. العبادة ليست حركات ساكنة ، بل العبادة تُحمّل الإنسان مسؤوليات كبيرة، فالإمام عليه السلام لأنه يدرك معنى الحج الحقيقي فقد تحمّل مسؤوليته الكبرى، وخرج لمقارعة الظالمين ومجابهة المفسدين، ونحن مطالبون اليوم بتحمّل مسؤولياتنا تجاه أنفسنا و تجاه مجتمعاتنا، و العمل على تحقيق الأمن و الأمان لهذه المجتمعات.

٣. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا علي نوم العالم أفضل من عبادة العابد، يا علي ركعتان يصليهما العالم أفضل من سبعين ركعة يصليها العابد**»[1] لذلك فإنّ من واجبنا أن نتعلم وأن نعتبر أيام الحسين عليه السلام محطة للتزود بالثقافة و العلم ، لنقرأ كربلاء قراءة معمّقة، لنتفقه في

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢ – الصفحة ٢٥

ديننا، لنتعلم ما ينفعنا في الدنيا و الآخرة، فليس من الصحيح أن نقضي أيام عاشوراء بعيدين عن مجالس العلم و العلماء ، وعن القراءة و التعلم.

٤. الاهتمام بالقرآن فهو كتاب الله عزوجل ، ومن أجل تطبيقه استشهد الإمام الحسين عليه السلام ، لنقرأ القرآن في كل يوم، ونتدبر في آياته، ونطبّق أحكامه.

٥. يجب أن نقدّس شعائر الحسين عليه السلام كما نقدس شعائر الحج، فهي من شعائر الله عزوجل، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1] ، لنحافظ على قدسية الحسينيات و المجالس و المواكب وكل ما يرتبط بإحياء ذكرى أبي عبدالله عليه السلام .

٦. لنكن أوفياء للإمام الحسين عليه السلام، الذي ضحّى بحياته من أجلنا فنجسّد القيم التي دافع عنها، ونسير على خطاه، ونقرأ له في كل يوم زيارة عاشوراء عارفين بمضامينها ، و مجسّدين لما فيها من ولاية لله و أوليائه، و براءة من الشيطان و أعوانه.

(١) الحج: ٣٢

الأمن الاجتماعي

تجنب البغي

و احترام الحقوق

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]

لقد جاء الإسلام بمجموعة متكاملة من الرؤى والمعادلات التي لو طُبقت لكان من شأنها أن تضمن حياة مستقرة آمنة للأمة الإسلامية إلا أن هذه التعاليم و المعادلات التي جاء بها الإسلام بحاجة إلى التطبيق الحقيقي كي تحقق الهدف المنشود منها، فلا يمكن الحديث عن أحلام وردية، أو عن مشاريع مخمليّة، أو عن شعارات منمّقة، وإنما القضية بحاجة إلى عمل دؤوب، وإلى استعداد وجهوزية تامة، وإلى صدق وجدية، وإلى دراسة هذه الرؤى للوقوف على بصائر الوحي و دقائق الدين.

(١) النحل: ٩٠

هـذه المعـادلات التـي يبيّنهـا الإسـلام تتكـون مـن طرفـين متقابلـين، وللبـدء بـأي مـشروع لابـد مـن دراسـة طـرفي المعادلـة حتـى يحقـق النجـاح، و كذلـك لابـد مـن معرفـة عوامـل البنـاء و تدعيـم الإيجابيـات، و أسـاليب مواجهـة السـلبيات، والتـي بدورهـا تظهـر مـدى نجـاح هـذا المـشروع مـن فشـله كنتيجـة، وكلـما كانـت دراسـتنا واقعيـة وجـادة وذات مصداقـيّة كلـما كانت النتيجـة أقـرب إلى الصحـة.

الصراع بين الخير و الشر:

إنّ الحقيقـة التـي لا يمكـن تجاهلهـا هـي وجـود صراع دائـم بـين الخـير و الـشر، وبـين أهلهـما، وعـادة مـا يبـدأ هـذا الـصراع مـن داخـل الإنسـان ثـم ينتقـل إلى خارجـه، و لذلـك فـإن الإسـلام يؤمـن بـضرورة وجـود معارضـة داخليـة في داخـل كل إنسـان، مبـدأ الـصراع بـين الخـير والـشر، يقـول تعـالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[1]، ولذلـك نـرى أنـه حتـى في رسـالة التوحيـد وشـهادة الإسـلام أنـت تقـول: «**أشـهد أن لا إلـه إلا الله**»، أي أنـك بحاجـة – أولاً– إلى نفـي كل الآلهـة ثـم تثبـت وجـود الله الواحـد الأحـد، فأنـت لا تسـتطيع أن تصـل إلى الله سـبحانه وتعـالى مـن

(١) الشمس: ٧ – ١٠

دون أن تدخل في حرب داخلية مع الأهواء والنوازع السلبية الداخلية، ومع الشياطين والطواغيت، إنها معركة مستمرة من أجل تثبيت التوحيد اعتقاداً وسلوكاً، بمحاربة النوازع النفسيّة والأنانيات والذاتيات ونوازع الشيطان، حينها يحقق الإنسان الفلاح، كما يقول رسول الله ﷺ: « **يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»[1].

يقول عزوجل: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[2] لأن الصراع بين الخير و الشر يبدأ من داخل النفس البشرية، فقد انطلق الإسلام عبر شرائع وأحكام وقيم وتعاليم لتربية الناس تحتوي على طرفين لضمان نجاح تربية النفس؛ إحياء لجانب الخير، وعلاج لجانب الشر.

الأمن الاجتماعي كمشروع:

حينما يبحث الناس عن الاستقرار وعن التنمية وعن السلام، وعن الأمن الاجتماعي و العدالة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول لهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾، فالعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، والإحسان إعطاءه المزيد، و في الطرف المقابل يقول لهم: ﴿ وَيَنۡهَىٰ عَنِ

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٣٢٢٨

(٢) الشمس: ٩- ١٠

ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾، ذلك أن الإسلام في علاجه للقضايا ينطلق من رؤية عميقة، ويجسدها عبر أحكام وقيم وتعاليم، فلا يكفي أن نتحدث عن الجوانب الخيّرة و الإيجابيّة من دون أن نعالج أيضاً الجوانب السيئة و السلبية.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه لإقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه**»[1].

«الحق هو الذي به يُعدل، فإذا أوتي كل إنسان حقه فقد تحقق العدل، والعدل هو محتوى رسالات الله، فالله أمر بالعدل كما أمر بالقسط، ولذلك فعلينا أن نحققهما أنّى استطعنا إليهما سبيلاً»[2].

البغي و التعدي على الحقوق:

يقول ربنا عزوجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[3]، إن الإنسان ليطغى حينما يحصل على موارد القوة والنفوذ والسلطة، ويلجأ إلى منطق البطش والقهر والإقصاء والإلغاء

(١) ميزان الحكمة- محمد الريشهري - ج٦ - ص٧٨- ح١١٦٥٧ - عن: غرر الحكم

(٢) الوجيز في الفقه الاسلامي: فقه الحياة الطيبة - المرجع السيد محمد تقي المدرسي - ص ٣٤

(٣) العلق: ٦ - ٧

والاستعلاء، وإنه من الطبيعي أن يطغى من لم يحارب النوازع النفسية، بنهي النفس عن الشر و المنكر، ومن لم يحي جوانب الخير فيها.

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، وجاء هابيل وقابيل إلى الدنيا، وجدت الحالة الهابيلية والحالة القابيلية، وقتل قابيل هابيل ضمن معادلة غير متّزنة ارتفع فيها معدل الشر من خلال الحسد،يقول عزوجل:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1].

وهكذا استمرت هذه الحالة في داخل كل إنسان، حيث توجد نوازع الخير، ونوازع الشر، و المؤمن هو من يعمل على ترويض نفسه بتنمية جوانب الخير و محاربة جوانب الشر، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى**

(١) المائدة: ٢٧ – ٣٠

لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق»[1]، فالنفس البشرية بحاجة إلى تدريب و ترويض وإلا فإنها تتطغى، فـ «**كل نفس أضمرت ما أظهره فرعون**» فلربما يجد الإنسان الفرصة المناسبة في يومٍ ما فيظهر مضمرات نفسه و يطغى و يبغي.

في كل نفس إنسانية جانب من الشر، البعض سنحت له الفرصة وتهيأت له الظروف الملائمة فظهر الشر، والآخر ضامر للشر ينتظر الظروف المناسبة ليظهره، وهذا يظهر جلياً حتى مع أقرب الناس للإنسان، فقد يصبح عند الإنسان نوع من أنواع الطغيان و البغي، وليس له سلطة إلاعلى زوجته و أولاده، فيضرب زوجته ويصرخ عليها ويعاملها معاملة سيئة، أو قد يتعدى على أولاده ، ترى تحت أي مسمى نستطيع أن ندرج فعل ضرب الزوج لزوجته أو التلفظ عليها بألفاظ تهينها وتؤذيها!!؟ أليس هذا نوع من أنواع البغي والطغيان والظلم، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « **إنَّ الرجل ليكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته**»[2].

ثم إن الظلم و البغي لا يبقى ضمن العباءة الفردية و في حدود الطغيان الفردي، بل يتعدّاه إلى المحيط العام، فمن

(١) نهج البلاغة – ج ٣ – الصفحة ٧١

(٢) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ١٤ – الصفحة ٢٣٨

يظلم يشجع الآخرين على الظلم، بل يروّج لظلمه و بغيه ، ويحاول أن يشرّع هذا البغي عبر سوق مجموعة من المبررات، فنسمع افراد المجتمع يرددون «من لا يَظلم الناس يُظلم»، أو «إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب».

«إن الظالم لا يلبث أن يبحث عن فلسفة لظلمه، ومحور يجتمع الظالمون حوله، وينظمون ويسنُّون شرائع له، وينصبون له أعلاماً يدعون الناس إلى الرضوخ له، وهكذا يبدو الظلم عملاً فردياً يرعاه الحرص والتعالي، وسرعان ما يتحول إلى تيار اجتماعي منظم، له مؤسساته وقوانينه ودعائمه وقياداته و.. ، حتى يصبح الناس فريقين: طبقة ظالمة مستكبرة متسلطة، وطبقة مظلومة مستضعفة مقهورة، وتلك الطبقة قد تختلف صورها، ولكن جوهرها واحد، كأن تتسمَّى باللوبي، أو الإقطاعيين، أو اتحاد الشركات، أو الحكومة، وغير ذلك»[1].

الاعتراف و الاحترام:

يقول ربنا سبحانه و تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[2].

(١) من هدى القرآن – المرجع السيد محمد تقي المدرسي – ج ٩ – ص١٣٣

(٢) الحجرات: ١٣

تتشكل المجتمعات من شعوب و قبائل، و طوائف ومذاهب اجتماعية، تحمل ثقافات مختلفة تجتمع كلّها تحت إطار المجتمع، وبسبب هذا الاختلاف بين تقاليد الناس و طبائعهم وتوجهاتهم تتولد الخلافات.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ اي لتعترفوا بحق بعضكم البعض، و ليس فقط أن تتعرفوا على بعضكم البعض، فالهدف من الاختلاف ليس التعارف فقط ولكن تعارف واعتراف ، وهكذا تضع الآية بين أيدينا بصيرة مهمة لتحقيق السلام بين الناس و الأمن في المجتمعات، حيث تبين أن الدعامتين اللّتين يجب أن يقوم عليهما نظام التعامل بين أفراد المجتمع هما: التعارف والحرمة (الاعتراف والاحترام) . فحينما يعترف كل فرد بالآخرين و يحترم حقوقهم، حين ذاك يسود الأمن و السلام في المجتمع.

قد يبدو من السهل الاعتراف بحقوق الآخرين، ولكن المعادلة لا تكتمل بمجرد الاعتراف، فإن الاعتراف يتبعه الاحترام و الحرمة، وهنا تكمن الصعوبة، فحينما لا يوجد اختلاف بين الناس تراهم في أفضل حال، ولكن حينما تبدأ الخلافات بينهم تظهر معادن الرجال، فالإنسان يواجه تحدّيات كثيرة خلال معاملاته اليوميّة مع الآخرين ويتأجّج صراعه مع نفسه ومع الآخرين في أبسط الخلافات التي قد يواجهها

في مختلف المواقع التي يتواجد فيها.

فعلى سبيل المثال: في كل معاملة يؤدّيها المسلم تكون عليه مجموعة من الواجبات و له مجموعة من الحقوق، كما في معاملة البيع والشراء-مثلاً- فللبائع وللمشتري حقوق يجب أن تصان، و التحدي هو هل تصان هذه الحقوق عندما يختلفان؟! أمّا أن يجلس كلّ إنسان في داره، و لا يتعامل مع الناس، ثم يدّعي أنه يصون حقوقهم، فإنّ ذلك لا يكشف عن معدنه الحقيقي. وكذلك في داخل الأسرة الواحدة فحينما تظهر وجهات النظر المختلفة يتبيّن مدى اعتراف كل طرف بالآخر، و مدى احترامه لحقوقه.

لا تَظلمون و لا تُظلمون:

صحيح أن الإنسان له حرية التصرف، و تحديد الخيارات، إلا أنّ عليه مراعاة حقوق الآخرين و عدم التعدي على مصالحهم، أو انتهاك حرماتهم، أي عدم البغي عليهم بغير الحق. فلكلّ إنسان حرمة و استقلالية و كرامة، فلا يجوز له أن يتعدى على غيره، كما لا يجب عليه القبول بتعدي الآخرين عليه، وهنا تأتي المعادلة القرآنية: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

(١) البقرة: ٢٧٩

ولكـن مـا أكثـر الذيـن يظلمـون بعضهـم البعـض؟! و مـا أكثـر الذيـن يتعـدّون عـلى حرمـات بعضهـم البعـض؟!

وهنـا بصـيرة جميلـة نسـتخلصها مـن الآيـة الشريفـة ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: «إنّ تعبـير لا تَظلمـون ولا تُظلمـون وإن كان قـد جـاء بشـأن المرابـين، ولكنـه في الحقيقـة شـعار إسـلامي واسـع وعميـق؛ يعنـي أن المسـلمين بقـدر مـا يجـب عليهـم تجنـب الظلـم، يجـب عليهـم كذلـك أن لا يستسـلموا للظلـم. وفي الحقيقـة لـو قـلّ الذيـن يتحملـون الظلـم لقـلّ الظالمـون أيضـاً، ولـو أنّ المسـلمين أعـدّوا العـدة الكافيـة للدفـاع عـن حقوقهـم لمـا تمكـن أحـد أن يعتـدي عـلى تلـك الحقـوق ويظلمهـم. فقبـل أن نقـول للظـالم: لا تظلـم، علينـا أن نقـول للمظلـوم: لا تستسـلم للظلم.»[1]

الحاجة إلى ثقافة الاعتراف و الاحترام:

«احـترام حقـوق الآخريـن» قيمـة أخلاقيـة سـامية، ذات نتائج عظيمـة، تحقـق للمجتمعـات الأمـن و الاسـتقرار، إلا أنّـه لا يكفـي أن ندّعـي الاعـتراف بالآخريـن واحترامهـم، بـل يجـب أن نحـوّل الشـعارات إلى سـلوكيات بصياغـة وعـي عـام في المجتمـع.

صحيـح أننـا جميعـاً نعـرف أن احـترام الآخريـن شيء جميـل و

(١) الأمثـل فـي تـفسـير كتـاب الله المـنـزل - المرجع الشيخ نـاصر مكارم الشيرازي - ج ٢ - الصفحـة ٣٤٧

ذو قيمة، إلا أنّ ذلك لا يكفي بل لابد من صياغة وعي حول الاعتراف والاحترام، لكي يتحول الوعي إلى سلوك، وهذا من أصعب الامور.

إنّ هذا الوعي يتولد عندما يخرج الإنسان من حدود «الأنا» الضيقة جداً، و يخرج من حالة الاستعلاء على الآخرين، و يعترف أنه عبد لله ، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: « **وَأَعِزَّني، وَلا تَبْتَلِيَنّي بالْكِبْرِ**»[1]، إنّ البغي و الظلم يأتي حينما ينظر الإنسان إلى نفسه على أنه أفضل من غيره، سواء أفضل في الجانب المالي ، أو الدرجة الاجتماعية، او العلم وغير ذلك، فيتكبر على الآخرين، ويرى لنفسه مكانة أعلى من غيره، فيتعدّى على حقوق الآخرين.

كي نصل إلى حالة الاستقرار والأمن، وكيما ننهض بواقعنا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي فإننا بحاجة إلى الاعتراف بحقوق بعضنا البعض، وإلى احترام بعضنا البعض، لابد أن نخرج من دائرة الاستعلاء ، ربنا عز وجل يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] فإرادة الاستعلاء على الآخرين تخرج الإنسان من الجنة .

(١) الصحيفة السجادية - دعاء مكارم الاخلاق

(٢) القصص: ٨٣

في المقابل نرى أنّ الإنسان المتواضع هو القادر على احترام حقوق الآخرين ، و الاعتراف بكياناتهم ، فثقافة الاحترام بحاجة إلى التخلص من الكبر و الاستعلاء أولاً ، و العجيب أن من يتواضع للناس يرتفع ويسمو بينهم ، فـ« **من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه** »[1] كما جاء في وصية الإمام موسى بن جعفر لهشام، انظروا إلى رسول الله ﷺ كيف كان متواضعاً إلى أبعد الحدود ، فلقد كان يجلس ﷺ بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل[2]، مع أنه أعظم الرسل، و أشرف المخلوقات، ولكنه كان كبقية الناس، لا يفرق الغريب بينه وبين أصحابه، فرفعه الله تعالى وجعل له منزلة عالية.

و كذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام متواضعاً و ذو خلق

(١) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ١٤ – الصفحة ٢٩٩

(٢) عمدة القاري – العيني – ج ١ – الصفحة ٢٨٤

رفيع، يقول الصحابي الجليل ضرار الضبابي[1] في وصف أمير المؤمنين عليه السلام :

«كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استفتيناه»[2].

ولذلك استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام أن يجسدا ثقافة الاحترام و الاعتراف بالآخرين بشكل عملي، فقد كانا يوقّران الصغير و الكبير، و لا يفرّقان بين الغني و الفقير.

(١) هو ضرار بن ضمرة الضبابي، أو الكناني كما في البحار: من خلص أصحاب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، حسن الحال، فصيح المقال. قد أمره معاوية أن يصف مولانا ومولى الأولين والآخرين أمير المؤمنين عليه السلام. فاستعفاه. فلم يعفه. قال: أما إذ لابد، فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى. يقول فصلاً و يحكم عدلاً. يتفجر العلم من جوانبه. وتنطق الحكمة على لسانه. يستوحش من الدنيا وزهرتها. ويأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا دعوناه، ويعطينا إذا سألناه. نحن والله مع قربه لا نكلمه لهيبته، ولا ندنو تعظيماً له، فإن تبسم فعن غير أشر ولا اختيال، وإن نطق فعن الحكمة وفصل الخطاب، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ولا يطمع الغني في باطله، ولا يؤيس الضعيف من حقه، أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرضت، أم إلي تشوقت؟ لا حان حينك، هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلة الزاد، وطول المجاز، وبعد السفر وعظم المورد «
فوكفت دموع معاوية على لحيته وجعل يستقبلها بكمه، واختنق القوم بالبكاء. وقال: هكذا أبو الحسن يرحمه الله. فكيف وجدك عليه يا ضرار؟ فقال: وجد أم واحد ذبح واحدها في حجرها، فهي لا يرقى دمعها ولا يسكن حزنها. «مستدركات علم رجال الحديث - الشيخ علي النمازي الشاهرودي - ج ٤ - الصفحة ٢٨٠»

(٢) شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين - ابن ميثم البحراني - الصفحة ٢٢٦

إنّ بناء سلوك «الاحترام و الاعتراف» بحاجة أيضاً إلى ترسيخ مبدأ حرمة النفس، و عدم الاعتداء على الناس و الأعراض، فالحديث النبوي يعرّف المؤمن و المسلم: «**ألا أنبئكم بالمؤمن! من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. ألا أنبئكم بالمسلم! من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة**»[1]، فلابد أن نكف أيدينا عن إيذاء إخوتنا، ونعلم أن لهم حرمة عظيمة، فـ «**المؤمن أعظم حرمة من الكعبة**»[2] كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحترم حتى غير المسلم، فقد نقل التاريخ لنا أنّ جنازة يهودي مرّت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام لها. فقيل له: إنها جنازة يهودي؟ فقال: «**أليست نفساً**»[3] ، وكذلك يُروى أنه دخل رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحضور عائشة. فقالوا: السام عليك يا محمد.

فردت عائشة: عليكم السام واللعنة.

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: « **مهلاً يا عائشة. فإن الله يحب الرفق**

(١) جامع السعادات – محمد مهدي النراقي – ج ٢ – الصفحة ١٦٥

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٦٤ – الصفحة ٧١

(٣) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين – صالح الورداني – الصفحة ٣١٢

في الأمـر كلـه »[1]

وخلاصـة القـول: إن تغيير سـلوك المجتمـع وبنـاء ثقافـة «الاعـتراف و الاحـترام» هـو بمثابـة زراعـة شـجرة في الأرض، فالشـجرة بحاجـة إلى التربـة الصالحـة، و السـقاية الدائمـة، و الرعايـة و العنايـة المسـتمرة، حتـى نحصـد منهـا الثمـرة الطيّبـة، كذلـك العمـل في المجتمـع إنـه بحاجـة إلى جهـد و صـبر، أمّـا الشـعارات الجوفـاء لوحدهـا فهـي لا تبنـي المجتمعـات، ذلـك أن المجتمعـات القائمـة عـلى الشـعارات الجوفـاء تتضعضـع عنـد أول هـزة ، و يتحـول النـاس فيهـا إلى أعـداء، وهـذا – مـع الأسـف– ما نـراه في مجتمعاتنـا حيـث تعتـدي كل جماعـة عـلى الآخـرى بمجـرد أن تختلـف معهـا في الـرأي ، و تكفّرهـا وتخرجهـا مـن الديـن و الملّـة، أليـس هـذا هـو مـا نـراه أمامنـا حينـما تختلـف جماعتـان في قضيـة اجتماعيّـة أو مرجعيـة أو سياسـية أو غـير ذلـك ؟**!**

إننـا نقـرأ دومـاً في زيارتنـا للإمـام الحسـين عليه السلام: « **يـا أبـا عبـد الله إني سـلم لمـن سـالمكم، وحـرب لمـن حاربكـم إلى يـوم القيامـة**»[2] ، ونقـول في مجالسـه دائـماً: « **ياليتنـا كنـا معكـم فنفـوز والله فـوزاً عظيـماً**»، ولكـن هـل فكّرنـا يومـاً:

---

(١) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين – صالح الورداني – الصفحة ٣١٢

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٩٨ – الصفحة ٢٩٢

هل نحن فعلاً سلم لكلّ من سالم الإمام الحسين عليه السلام و اتبّعه؟

هل نحن فعلاً قادرون على الاعتراف بالمؤمنين الذين نختلف معهم في وجهات النظر، و الوقوف معهم في صف واحد ضد معسكر يزيد؟

هل نحن ممن يطبق الآية القرآنية بشكل صحيح: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]؟

أم أننا - والعياذ بالله - أشداء على المؤمنين رحماء بالكفار؟!

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام قدوة و أسوة:

ننقل في هذا السياق مجموعة من روائع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام:

- حينما التقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوحشي قاتل عمه الحمزة، وذلك بعد إسلام أهل الطائف، يقول وحشي: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآني قال صلى الله عليه وآله وسلم: أنت وحشي؟

قلت: نعم.

---

(١) الفتح: ٢٩

قال ﷺ: أنت قتلت حمزة؟

قلت: قد كان من الأمر ما بلغك.

فقال ﷺ: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني.

فلم يكن رسول الله ﷺ ممن يحمل الثارات، ولم يكن يربّي الناس على الثأر، ولا على الأحقاد والبغضاء والعداوات.

- حينما كذّب المشركون رسول الله ﷺ وآذوه، وافتروا عليه، واتهموه بالجنون والسحر وما أشبه، وبصقوا في وجهه الكريم، وداسوا عنقه، وقاطعوه، وقتلوا أصحابه، وعذبوهم، وشرّدوهم، وتتبعوهم تحت كل حجر ومدر، وفعلوا ما فعلوا به ﷺ طوال السنين الصعاب، نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى قائلاً: «**إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم**».

فخاطب ملك الجبال النبي ﷺ وقال: «مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»

فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً**».

- بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد مع جماعة إلى بني جذيمة وهم من بني المصطلق ليدعوهم إلى الإسلام، فأوقع بهم خالد، وقتل منهم جماعة، فبلغ الخبر رسول الله ﷺ فبكى ﷺ، وقام وصعد المنبر ورفع يديه إلى السماء وقال ثلاثاً: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد**».

ثم دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فدفع إليه سفطاً (صندوقاً) من الذهب وأمره أن يذهب إلى بني جذيمة ويدفع إليهم ديات الرقاب وما ذهب من أموالهم.

- كان النبي ﷺ قد ذهب في بعض غزواته ليستريح وينام نوم القيلولة في وقت الضحى، وذلك في ظل شجرة مورقة بعيداً عن أصحابه، فبصر به (غورث بن الحارث) فانتهز الفرصة لقتل النبي ﷺ فجاء حتى وقف عليه ورفع يده مصلتاً سيفه وقال: من يمنعك مني يا أبا القاسم؟

فقال النبي ﷺ: «**الله**».

فسقط السيف من يد غورث، فبدر النبي ﷺ إلى السيف وأخذه ورفعه فوق رأس غورث قائلاً له: «**يا**

غـورث مـن يمنعـك منـي الآن؟»

فقـال: عفـوك، وكـن خـير آخـذ. فتركـه النبـي ﷺ وعفـا عنـه، فجـاء إلى قومـه وقـال لهـم: «والله جئتكـم مـن عنـد أكـرم خلـق الله»[1].

- لمـا دخـل رسـول الله ﷺ بأصحابـه مكـة فاتحـاً، حمـل الرايـة سـعد بـن عبـادة وجعـل يـدور بهـا في طرقـات مكـة وينـادي قائـلاً: «اليـوم يـوم الملحمـة.. اليـوم تُسـبى الحرمـة»، فأخـبروا بذلـك رسـول الله ﷺ فأمـر عليـاً عليه السلام بـأن يـدرك سـعداً ويأخـذ الرايـة منـه، ويدخـل بهـا إدخـالاً رفيقـاً وينـادي في أهـل مكـة بلـين ولطـف بعكـس ذلـك النـداء.

فأقبـل عـلي عليه السلام وأخـذ الرايـة مـن سـعد، وجعـل يطـوف بهـا في طرقـات مكـة: ـ وهـو ينـادي ويكـرر النـداء قائـلاً ـ: **«اليـوم يـوم المرحمـة.. اليـوم تصـان الحرمـة!»**

ثـم إن النبـي ﷺ جمـع أهـل مكـة، فنـادى فيهـم: **«مـا تقولـون إني فاعـل بكـم؟»**

قالوا: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

(١) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج٢٠ - ص١٧٤

فقال ﷺ: «**أقول لكم كما قال أخي يوسف لأخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾[1]**»، ثم قال ﷺ: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[2].

- لقد كانت رحمة النبي ﷺ تشمل كلّ شيء حتى الحيوانات، فذات مرة كان النبي ﷺ نائماً فلما استيقظ من نومه رأى قطة قد نامت على طرف ردائه وهي غارقة في نوم عميق فلم يشأ النبي ﷺ أن يقطع على هذه القطّة نومها بل جلس وانتظر مدة من الزمن حتى تستيقظ بنفسها فلما انتبهت وقامت ومشت، قام النبي ﷺ إلى عمله.

ومرّة كان النبي ﷺ في طريقه مع بعض الصحابة فرأى قطّة تريد أن تشرب الماء فكانت تلحس قعر الإناء بلسانها فجاء النبي ﷺ وأمال طرف الإناء ليجتمع الماء فتشرب القطة من الماء حتى ترتوي، فقال الأصحاب للنبي: نحن نكفيك هذا، فقال ﷺ: «**لا بنفسي أحب أن أساعد هذه القطة على شرب الماء**» فلما ارتوت القطة من الماء و انصرفت، انصرف

(١) يوسف: ٩٢

(٢) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج٢١ - ص١٣٢

النبـي صلى الله عليه وآله وسلم.[1]

- عهـد الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام إلى مالـك الأشـتر لمّـا ولّاه عـلى مـصر، حيـث يوصيـه في البدايـة باللطـف بالرعيـة فيقـول: «**وأشـعر قلبـك الرحمـة للرعيـة والمحبـة لهـم واللطـف بهـم**»[2]، ثـم يقـول لـه: «**ولا تكونـنَّ عليهـم سـبعاً ضاريـاً تغتنـم أكلهـم**»[3]، ثـم يأمـره عليه السلام بعـدم التمييـز بـين النـاس سـواء كانـوا ينتمـون إلى الإسـلام أو لا فيقـول لـه: «**فإنهـم صنفـان: إمـا أخ لـك في الديـن، وإمـا نظـير لـك في الخلـق، يفـرط منهـم الزلـل، وتعـرض لهـم العلـل، ويؤتـى عـلى أيديهـم في العمـد والخطـأ، فأعطهـم مـن عفـوك وصفحـك مثـل الـذي تحـب أن يعطيـك الله مـن عفـوه وصفحـه**»[4]، ويؤكـد لـه عـلى ضرورة الاعـتراف بهم جميعـاً وبحقوقهـم، لا أن يمنـع أحـد حقـاً لـه فقـط لأنـه -مثـلاً- لا ينتمـي إلى نفـس التوجّـه الـذي تنتمـي إليـه، ثـم يقـول عليه السلام: « **وإن عقـدتَ بينـك وبـين عـدوك عقـدة، أو ألبسـته منـك ذمـة فَحُـطْ عهـدك بالوفـاء. وارع ذمتـك**

(١) من هدى السيرة النبوية - الشيخ كاظم السباعي

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - الصفحة ٨٤

(٣) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - الصفحة ٨٤

(٤) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - الصفحة ٨٤

بالأمانة، واجعل نفسك جُنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء، الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود»[1].

- لقد كانت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام - كما كانت سياسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في التعامل مع معارضيه سياسة عظيمة قائمة على أسس الدين و إحقاق الحق، وعدم إجحاف الطرف الآخر وإن كان معارضاً ، فقد قال عليه السلام للخوارج : «**لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء، ولا نمنعكم المسجد**»[2] ، فإذا أردنا أن نعبّر عن هذه العبارة بعبارات اليوم أي أن الإمام عليه السلام يقول لهم: لا نمنعكم من دخول دور الحكومة ومؤسساتها، ولا نحرمكم من الجانب الإعلامي في الدولة ، و لا نضيّق عليكم في الجانب الاقتصادي، ولا نلغي رواتبكم من ميزانية الدولة. أمّا ما يفعله الحكام اليوم من نفي و طرد وحرمان من كل الحقوق فهو قانون شيطاني وليس رباني.

ننقل هنا هذه القصة كنموذج لتعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع معارضيه ، لقد كان ابن الكوا من قيادي

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - الصفحة ١٠٦

(٢) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ٣٢ - الصفحة ٥٣٨

المعارضة في زمن أمير المؤمنين، وكان رجلاً منافقاً خارجياً مشاكساً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حكومته الواسعة، التي كانت ذلك اليوم أوسع حكومة على وجه الأرض، وكان علي عليه السلام ـ بالإضافة إلى أنه إمام من عند الله تعالى وتعيين من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ أكبر حاكم على وجه الكرة الأرضية.

فكان ابن الكوا يلقي اعتراضاته على أمير المؤمنين عليه السلام في أوساط عامة، وبصورة شرسة، وبكل صلافة ووقاحة، فلم يمنعه عليه السلام عن شيء من ذلك إلا بالنصيحة والموعظة.

ذات يوم كان علي عليه السلام في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوا من خلفه معرّضاً به: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1].

فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ ابن الكوا من الآية، ثم عاد عليه السلام في قراءته، ثم أعاد ابن الكوا الآية ثانية، فأنصت علي عليه السلام أيضاً حتى فرغ ابن الكوا من الآية، ثم عاد عليه السلام في قراءته، فلما قرأ أعاد

(١) الزمر: ٦٥

ابـن الكـوا الآيـة ثالثـةً، فأنصـت عـلي عليه السلام أيضـاً، حتـى إذا فـرغ ابـن الكـوا مـن الآيـة، قـرأ عليه السلام قولـه تعـالى وكأنـه يجيبـه بـه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[1]، ثـم أتـم السـورة وركـع[2]. هكـذا كان تعامـل الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام مـع سـائر معارضيـه مـن الخـوارج -الذيـن خالفـوه وعارضـوه- ومـن غيرهـم.

ممارسات مجتمعية خاطئة:

لـو ألقينـا نظـرة سريعـة عـلى ممارسـات المجتمـع لرأينـا فيهـا الأخطـاء الكثـيرة فيـما يخـص الاعـتراف بالآخريـن واحـترام حقوقهـم، و نسـلط الضـوء هنـا عـلى مجموعـة بسـيطة مـن هـذه الممارسـات الخاطئـة:

- الاعتـداء عـلى الإنسـان في سـلب راحتـه التـي هـي مـن حقـه، كإحـداث الضوضـاء في الليـل، أو مزاحمتـه بتلويـث البيئـة المحيطـة بـه، أو تخريـب الحديقـة التـي يتمتـع بهـا وقطـع الأشـجار التـي تلطـف هـواءه ومـا أشـبه..
- الاعتـداء عـلى حـق مـن حقـوق الإنسـان الشرعيـة التـي يعتبرهـا العـرف حقـاً لازمـاً لـه؛ مثـل: حـق السـبق في

(١) الروم: ٦٠

(٢) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج٤١ ص٤٨

المسجد أو في الطريق، أو حق التقدم في الشراء أو البيع، أو حق الأولوية في أخذ قرض من البنك أو فتح اعتماد تجاري، أو حق الدراسة في جامعة أو حوزة.

- إشاعة الفحشاء في المجتمع تحت غطاء حرية الإعلام وغيرها من المسمّيات، حيث تعمد وسائل الإعلام إلى التسابق في نشر الفضائح الاجتماعية و الأخلاقيّة، لدرجة أن بعض المجتمعات - نتيجة للكم الهائل من هذه الأخبار- أصبحت تنظر إلى وقوع الرذيلة و الزنا في المجتمع نظرة عادية.
- التعدّي على الآخر بمجرد الاختلاف معه، وقد يصل التعدّي في بعض الحالات إلى الضرب أو القتل أو الإقصاء.
- عدم مراعاة حقوق الآخرين في الطريق، كتخريب الطرقات ، وعدم التقيُّد بقوانين المرور ، وهنا نؤكد على نقطة مهمة وهي: لا يجوز تعمد مخالفة قوانين المرور التي تؤدي للضرر بالنفس و بالآخرين كتجاوز إشارات المرور حتى ولو كنت في دولة ظالمة، فإن تجاوز الإشارة - مثلاً- يعود بالضرر على الآخرين فلا يجوز لك ذلك.

- الاعتداء على ممتلكات الآخرين دون وجه حق، كإلقاء الحجارة على نوافذ المنازل، أو تعمّد تشويه السيارات و ثقب الإطارات، أو إلقاء القاذورات على أبواب البيوت وغير ذلك
- الاعتداء على الممتلكات العامة وتخريبها، فهي حق للجميع و لا يجوز التعدي على هذا الحق، كتخريب المرافق العامة و المساجد و الحسينيات و الحدائق و المدراس و غيرها.
- محاربة الناس في أرزاقهم، فنهالك - مع الأسف- من يسعى لقطع أرزاق الناس و التضييق عليهم اقتصادياً لأنهم يختلفون معه ، وأمثلة ذلك في المجتمع كثيرة كمنع التوظيف، أو الحرمان من الدراسة الجامعية و البعثات، بل وحتى منع الطلبة من الدراسة في الحوزات العملية لمجرد الاختلاف معهم في التوجه و الجماعة.

إنّ كل هذه الممارسات و غيرها تؤسس لأعراف خاطئة في المجتمع يجب علينا الوقوف في وجهها و التصدي لها عبر العمل على بناء ثقافة الاعتراف و الاحترام لتحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع.

إنّ من النتائج الحتميّة لعدم الالتزام بالقوانين الإلهية

هـو ارتفـاع معـدل الجرائـم الأخلاقيـة في المجتمـع، فـترى الزنـا و اللـواط و المخـدرات - والعيـاذ بـالله- قـد انتـشرت في مجتمعاتنـا، و الأدهـى مـن ذلـك هـو تعـوّد النـاس عـلى وجودهـا في المجتمـع، وعـدم التحـرك لإيقـاف انتشـارها.

دروس من المشهد الحسيني:

لنلقـي نظـرة عـلى حادثـة التقـاء الإمـام الحسـين عليه السلام بالحـر بـن يزيـد[1] ثـم نسـتخلص منهـا مجموعـة مـن العـبر:

بينـما كان الإمـام الحسـين عليه السلام يسـير بصحبـه في طريقـه إلى الكوفـة إذ كـبر رجـل مـن أصحابـه، فقـال الحسـين عليه السلام: «**الله أكـبر، لم كـبرت؟**»

قـال: رأيـت النخـل، فقـال لـه جماعـة مـن أصحابـه: والله إن هـذا المـكان مـا رأينـا بـه نخلـة قـط.

فقال لهم الحسين عليه السلام: «**فما ترونه؟**»

قالوا: نراه والله أسنة الرماح وآذان الخيل.

قال عليه السلام: «**وأنا والله أرى ذلك**».

ثـم قـال: عليه السلام: «**مـا لنـا ملجـأ نلجـأ إليـه فنجعلـه في ظهورنا**

(١) نقلًا عن أعيان الشيعة (بتصرف) - السيد محسن الأمين - ج ١ - الصفحة ٥٩٦

ونستقبل القوم بوجه واحد؟».

فقالوا له: بلى هذا ذو حسم وهو جبل إلى جنبك فمل إليه عن يسارك فإن سبقت إليه فهو كما تريد.

فالتجأ الإمام عليه السلام مع صحبه إلى الجبل، وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضربت، وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد، حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حر الظهيرة، فسلم الحسين عليه السلام عليهم وقال لفتيانه: «**اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفا**»، فأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيها ثلاثا أو أربعا أو خمسا عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوها عن آخرها.

قال علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحر يومئذ فجئت في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: «**أنخ الراوية**[1]»، والراوية عندي السقاء، ثم قال: «**يا ابن الأخ أنخ الجمل**» فأنخته فقال: «**اشرب**»، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: «**اخنث السقاء**» أي اعطفه فلم أدر كيف

(١) الرواية في لسان أهل الحجاز اسم للجمل الذي يستقي عليه وفي لسان أهل العراق اسم للسقاء الذي فيه الماء فلذلك لم يفهم مراد الحسين عليه السلام حتى قال له أنخ الجمل.

أفعل، فقام فخنثه بيده فشربت وسقيت فرسي.

وقال الحسين عليه السلام للحر: «**ألنا أم علينا؟**»

فقال: بل عليك يا أبا عبد الله.

فقال الحسين عليه السلام: «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**».

فلم يزل الحر موافقاً للحسين حتى حضرت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن، ثم قال للمؤذن: أقم فأقام الصلاة، فقال عليه السلام للحر: «**أتريد أن تصلي بأصحابك**»، فقال الحر: لا بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك، فصلى بهم الحسين عليه السلام.

حينما سلم الإمام عليه السلام و انفتل من صلاته، وانصرف إليهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«**أمّا بعد أيّها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله عنكم ونحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان وإن أبيتم إلا الكراهية لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدِمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم**».

فقال له الحر: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر، فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه: «**يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي**»، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه، فقال له الحر: إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله، فقال له الحسين عليه السلام: «**الموت أدنى إليك من ذلك**».

ثم قال لأصحابه: «**قوموا فاركبوا**» فركبوا وانتظر هو حتى ركبت نساؤه، فقال لأصحابه: «**انصرفوا**»، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين عليه السلام للحر: «**ثكلتك أمك ما تريد؟**»، فقال له الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان، ولكن ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما أقدر عليه.

فقال له الحسين عليه السلام: « **فما تريد؟**».

قال: أريد أن انطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد.

فقال عليه السلام: «**إذاً والله لا أتبعك**».

فقال: إذاً والله لا أدعك، فترادا القول ثلاث مرات فلما كثر الكلام بينهما قال له الحر: إني لم أؤمر بقتالك إنما أمرت

أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة بيني وبينك نصفا حتى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد فلعل الله أن يرزقني العافية من أن ابتلي بشيء من أمرك فخذ ههنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية.

فتياسر الحسين وسار والحر يسايره، ثم إن الحر قال للحسين عليه السلام: أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن.

فقال له الحسين عليه السلام: «**أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخوفه ابن عمه وقال أين تذهب إنك مقتول فقال:**

سأمضي وما بالموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه

وفارق مثبورا وودع مجرما

رؤى وبصائر:

- في البدء احترم الإمام عليه السلام هذا الجيش القادم، فبادرهم

بالسلام وإلقاء التحية، بالرغم من أنهم أعداء، بينما نرى البعض في مجتمعنا حينما يختلف قليلاً مع أحد إخوته أو جيرانه يقاطعه ويخاصمه، لدرجة أنه لا يسلم عليه و لا يرد على سلامه.

- اعترف الإمام بحقوقهم كبشر بغضِّ النظر عن كونهم أعداء أو أصدقاء ، فأمر بسقايتهم، ولم يقبل أن يبقى هؤلاء عطشى، بل أنه أمر بسقاية الخيول أيضاً.
- تعامل الإمام عليه السلام وأصحابه مع الجيش المعادي باحترام و عطف و رفق ، فقد سقى عليه السلام العدو الماء بيده المباركة.
- لم يُخرج الإمام عليه السلام عدوه من الدين ، بل خاطبه برفق حينما حان موعد الصلاة وسأله: « **أتريد أن تصلي بأصحابك**»، بينما البعض حينما يختلف مع الطرف الآخر يكفّره ويخرجه من الدين، ويمنع الناس من الصلاة خلفه ، ويحرمه من الدخول إلى المسجد ، وغير ذلك من الممارسات الشيطانية التي - ومع الأسف - انتشرت في مجتمعنا باسم الدين و باسم التدين.

وهنا نتسائل هل نريد أن نمشي في ركب الحسين عليه السلام ؟

فإذا قررنا أن نسير في هذا الركب المبارك ، هل يكفي أن

نتحلى بالمظاهر؟

إننا بحاجة إلى إسقاط كربلاء على واقعنا، و الاستفادة من هذه الدروس العظيمة لبناء المجتمعات، فنتعلم منها فن التعامل مع من نختلف معهم في المجتمع، وكيف نبني جسور التواصل، ونحقق الاحترام حتى لمن نختلف معهم.

فيحنما يكون أفقنا السماء يتلاشى كلّ ما يميزنا على الأرض، إنّ الاعتراف بحقوق الآخرين واحترامها قيمة أخلاقية عظيمة، وما نحتاجه اليوم هو التعلم من كربلاء الحسين عليه السلام كيف نتعايش مع من نختلف معه ، وكيف نطوّر سلوكيات أبناء المجتمع نحو تحقيق الأمن الاجتماعي و العدالة، « فالمجتمع الإسلامي كما البنيان المرصوص- يتميز بقوة المَخْبر وجمال المظهر، وإذا كانت العدالة تجعل المجتمع قوياً فإن الإحسان يجعله أنيقاً جذاباً، وقد أمرنا الله بهما حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[1]، وكلما تعمقت قيمتا العدل والإحسان في المجتمع أكثر كلما كان المجتمع أمتن وأزكى».[2]

(١) النحل: ٩٠

(٢) الوجيز في الفقه الاسلامي: عقود الاحسان - المرجع السيد محمد تقي المدرسي - ص ٥

الدنيا

فرصة و امتحان

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ
وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]

إنّ الدنيا فرصة كبيرة تمر على الإنسان، بل إنها من أكبر الفرص ذلك أنها لن تتكرر، فلن يعيش الإنسان مرة أخرى في هذه الدنيا، وما يميز هذه الفرصة هو كونها فرصة استثمار ذهبية للمستقبل، فهي إما أن تتحول إلى مستنقع كبير وخسران مبين يغرق فيه الإنسان، أو تكون عاملاً للنجاح و الفوز، و السعادة الأبدية. و أسلوب التعاطي مع هذه الفرصة التي لا تعوَّض هو الذي يحدد مصير الإنسان سواء بالنجاح أو الغرق في مستنقع الفشل الأبدي.

لقد نبّه الإسلام إلى ضرورة التعاطي مع الحياة الدنيا

(١) العنكبوت: ٦٤

بطريقة حكيمة، فلم يمتدح الإسلام هذه الحياة بشكل يجعل منها أملاً ويدفع الناس للتعلق بها، ولم يذمها بشكل مطلق بحيث إنَّ الإنسان لا يكترث بها، وإنما أوجد حالة من التوازن، وبيّن للناس الخط الدقيق الفاصل بين النجاح و الفشل فيها.

لقد أوضحت الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة أنّ الحياة الدنيا لها أوجه مختلفة، و بيّنت أيضاً التحدّيات و الابتلاءات، والإغراءات وكلّ فرص الافتتان التي تحتويها الدنيا، لكي يستطيع الإنسان أن يتعاطى معها بأفضل كيفية.

الدنيا ربيع زائل:

أرأيتَ من ينشغل في فصل الربيع بالنظر إلى جمال الزهور و الثمار، فيشغله جمالها و رونقها عن قطافها و الاستفادة منها، ثم يباغته الصيف وهو لم يستفد من ثمار و زهور الربيع ، هكذا هي الدنيا، وهكذا هم البشر فيها، فهي ربيع زائل، يمضي بسرعة، و الشقي من لم يستفد من هذا الربيع.

يشبّه الله عزوجل الحياة الدنيا وما فيها من زينة بالربيع الذي يزهر فيغتّر به الإنسان ، ثم لا يلبث أن ينقضي، و إنما تبقى الأعمال الصالحة، يقول عزوجل: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا

نَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾[1].

«و المثل الذي يضربه القرآن عن الحياة الدنيا وزينتها، مستوحى من دورة الربيع، حيث ينزل الماء من السماء فإذا بالنباتات المختلفة تخرج من الأرض، وتجعل الإنسان يزعم بأنها باقية ودائمة، و إذا بأيام الربيع تنقضي ويأتي الصيف فتحرق الشمس اللّاهبة كل تلك النباتات، وتحولها إلى هشيم متفتت تذروه الرياح.

فما الذي يبقى بعد كل هذه الدورة؟

الشيء الوحيد الباقي هو قدرة الله التي تغير و لا تتغير، تلك القدرة التي كانت و لا تزال و لن تزول، وكما تتغير الطبيعة بفعل تقدير الرب الحكيم، فإن الدنيا كلّها تنقلب في كفّ القدرة الإلهية، وتعود كما بدأت، وتقوم الساعة، ويحشر الله الناس جميعاً دون استثناء..»[2] ليواجهوا أعمالهم التي عملوها، فمن غرّته الدنيا بربيعها الزائل كان مصيره الخسران الكبير، وأمّا من لم يشغله ربيع الدنيا و زينتها عن العمل الصالح فإنّه ينتقل إلى جنة ورضوان.

(١) الكهف: ٤٥

(٢) تفسير من هدى القرآن – المرجع السيد محمد تقي المدرسي – ج٥ – ص ٥٩

الدنيا قنطرة:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[1]، توضح الآية معادلة مهمة، فيبدأ الله بإعلام الإنسان بأن ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ هذه حقيقة، ويختم عزوجل الآية بجانب آخر ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾. فمع كونهما زينة الحياة الدنيا إلا أنّ المطلوب هو توظيفهما في خدمة الباقيات الصالحات فهي الذخر الحقيقي.

« و ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ لأنها أشياء تشبه تلك النباتات التي تختلط وتلتف ببعضها، وهي زينة يجب أن يستفيد الإنسان منها على هذا الأساس لا أكثر، أمّا إذا أراد أن يعتمد عليها اعتماداً كلّياً فسوف يسقط.. فبقدر ما تتعب وتحصل على المال وتبني بيتاً تستفيد منه، أو تحصل على بنين يُسرُّ قلبك لمرآهم، وترتاح نفسياً بهم، هذا المقدار سائغ لك، أمّا أن تغترّ بالمال والبنين فهذا خطأ كبير، لأنَّ هذا المال ليس باق وحتى إذا بقي فأنت لا تبقى له، والبنون لا يبقون لك أو لا تبقى معهم، وينتهي دورهم بانتهاء دور الزينة. فما الذي يبقى لك؟ .

(١) الكهف: ٤٦

عملك هو الذي يبقى. وما تدخره لنفسك من الصالحات هو الذي يدوم، وهو الذي يشكّل زينة الحياة الآخرة ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾.

لو نظرنا إلى الوجود من خلال هذه البصيرة القرآنية إذن لهانت زينة الدنيا في أعيننا، ولتحملنا مسؤوليتنا، وأخذنا من هذا المعبر السريع لذلك المنزل الباقي»[1]

فالحكيم في هذه الدنيا هو من اتخذها مزرعة للآخرة، واجتهد في العمل فيها، كي يقطف ثمار الفلاح و النجاح في يوم لا ينفع مال و لا بنون، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مالي والدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب مر للقيلولة في ظل شجرة في يوم صيف، ثم راح وتركها**»[2]، وقال نبي الله عيسى عليه السلام للحواريين: «**إنما الدنيا قنطرة**[3] **فاعبروها ولا تعمروها**»[4].

الدنيا بين حاضر زائل ومستقبل دائم:

صحيح أنّ الله تعالى قد وفر للإنسان مجموعة كبيرة من النعم في هذه الدنيا، و أراد له أن يتمتع بها، إلا أنه تبارك

(١) من هدى القرآن – المرجع السيد محمد تقي المدرسي – ج ٥ – ص ٦٠-٦١

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧٠ – الصفحة ١١٩

(٣) القَنْطَرَةُ: الجِسرْ و الممر، وقيل ما يُبْنَى بالآجُرّ أَو بالحجَارَة على المَاءِ يُعْبُرَ عليه.

(٤) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧٠ – الصفحة ١١٩

وتعالى قد أمره -في الوقت ذاته- بأن يُعمل عقله وينظر إلى الدنيا بحدودها المؤقتة، ويعلم بأنها مزرعة للآخرة و جسرٌ للعبور، وليست داراً للقرار و الاستقرار.

لذلك فإنّ المؤمن في الوقت الذي يتنعم فيه بنعم الله عز وجل، يفكّر في آخرته فيعمل لها بكل جد و اجتهاد، و حينما تتعارض رغباته وشهواته مع ما أمره الله فإنه يختار حكم الله، معرفة منه بأن حكم الله تعالى هو الذي سينجيه في يوم القيامة، وهو الذي سيحقق له السرور الأبدي.

يقول تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1].

لأن الإنسان بطبيعته عجول، و يفضِّل الشهوات الحاضرة على التطلّعات بعيدة المدى، لذلك فإنَّ القرآن يوجهه لتجاوز هذا المتاع الزائل لبلوغ النعيم الأبدي، و يبّين له أنّ هذه الزينة هي مؤقتة فلا تغتر بها فهنالك نعيم حقيقي غير زائل، اسعَ

(١) آل عمران: ١٤ - ١٥

أيّها الإنسان للوصول إليه.

المستقبل القادم يُصنع اليوم بأيدينا، وما سنجده في ذلك المستقبل هو ثمرة جهدنا في الحاضر، لذلك فإن من العقل و الحكمة العمل في هذه الدنيا السريعة المضي لجني الثمار في الآخرة الطويلة الأمد و الخالدة.

«تقول الآية: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، إلا أن هذه الشهوات العاجلة يجب أن تبقى في حدودها المعيّنة وذلك بالتفكّر في أن هناك تطلعاً أسمى منها يجب أن يوازن به الإنسان حياته، ذلك التطلع هو ما عند الله، فماذا عند الله؟

﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ أي المستقبل المضمون، والجيد.

إذا كانت الجنة في الآخرة هي المنى، وهي الحياة حقاً، فما هي هذه الدنيا التي نحن فيها، وما هي مسئوليتنا فيها حقاً؟

إنها مزرعة لتلك الجنة، وكلُّ ما نكتسبه هنا فإننا نراه هناك، ومسؤوليتنا أن نتخذ مما فيها متاعاً ووسيلة لبلوغ ما هناك.

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ و لم يسترسلوا مع الشهوات إلى نهاية الشوط، إنما وجَّهوا شهواتهم

حسب تطلعات عقولهم، وقيم دينهم. لهؤلاء عند الله:

﴿ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ وهذه تُشبع في الإنسان الإحساس بطلب ضرورات حياته، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وهذه تشبع فيه تطلعه إلى الخلود، ﴿ وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ ﴾ يوازن بها المؤمن شهوة الجنس في الدنيا، ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يشبع به المؤمن حبه للمديح في الدنيا.

إنك ترى كيف أن الذي اتَّقى في الدنيا من الإفراط في الشهوات، نال في الآخرة عن كلّ شهوة دنيوية اتَّقى منها ما يتناسب معها من نعم عظيمة. وبذلك يتم التوازن في قلب المؤمن، بين حاضر شهوات الدنيا، ومستقبل تطلعات الآخرة»[1].

روي عن سويد بن غفلة أنّه قال: « دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما بُويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره، فقلت له: يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئا مما يحتاج إليه البيت؟

فقال عليه السلام: « **يا بن غفلة! إنّ اللبيب العاقل لا يتأثث في دار النقلة، ولنا دار أمن قد نقلنا إليها خير متاعنا، وإنّا عن**

(١) تفسير من هدى القرآن – المرجع السيد محمد تقي المدرسي – ج١ – ص٣٨٤

قليـل إليهـا صائـرون..»[1]

تحديد الهدف:

أمام الإنسان خياران لا ثالث لهما:

- الجنة و النعيم الأبدي.
- النار و الشقاء الأبدي.

وهـذا يعتمـد عـلى عملـه في الدنيـا، لذلـك فـإنّ عـلى الإنسـان أن يحـدد هدفـه في هـذه الحيـاة أولاً ليضـع خطتـه في كيفيـة التعامـل مـع المتـاع الـذي أعطـاه إيـاه الله سـبحانه وتعـالى، وكيـف يوظّفـه بـما يخـدم هدفـه.

يقـول رسـول صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدنيـا مزرعـة الآخـرة**»[2] فالآخـرة هـي الحيـاة الحقيقـة، هـي الأصـل و هـي دار البقـاء، و مـا يزرعـه الإنسـان هنـا يحصـده هنـاك، يقول أمـير المؤمنـين عليه السلام: « **اسـتفرغ جهـدك لمعـادك تصلـح مثـواك**»[3].

إن الحيـاة الدنيـا مهمـة ذلـك أنهـا « المـكان الـذي يسـتطيع أن يبنـي الإنسـان فيـه موقعـه في العـوالم الأخـرى التـي سـوف تـلي

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي: ص ١٠٩، باب ٢

(٢) عوالي اللآلي لابن أبي جمهور: ج ١، ص ٢٦٧

(٣) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ – الصفحة ٣٥

هـذه الدنيـا التـي يعيـش فيهـا... ومـن الفـوارق الأساسـيّة بـين هـذه الدنيـا والعـوالم الأخـرى، هـو أن الإنسـان جـاء إلى هـذه الدنيـا بغـير اختيـاره وبـدون طلـب أو إرادة منـه، وأمـا العـوالم الأخـرى فإنـه سـوف يعمرهـا ويدخلهـا بإرادتـه ويختـار موقعـه في تلـك العـوالم بـإرادة تامـة منـه، وللإنسـان أن يبنـي تلـك العـوالم وهـو في هـذه الدنيـا»[1] فمـن يعمـر هـذه الدنيـا بالعمـل الصالـح يكـون المـوت بالنسـبة إليـه بوابـة نحـو النعيـم و الخلـود.

جـاء رجـل إلى أبي ذر الغفـاري، فقـال: يـا أبـا ذر مالنـا نكـره المـوت؟

فقـال: لأنكـم عمرتـم الدنيـا، وأخربتـم الآخـرة، فتكرهـون أن تُنقلـوا مـن عمـران إلى خـراب.

فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟

فقـال: أمـا المحسـن منكـم فكالغائـب يقـدم عـلى أهلـه، وأمـا المسيء فكالآبـق يـرد عـلى مـولاه... »[2]

حالة الاتزان:

عندمـا يفقـد الإنسـان حالـة الاتـزان، يضيـع في زحـام الحيـاة

(١) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة - الشيخ عباس القمي - الصفحة ١٤

(٢) الكافي: ج ٩، ص ٤٥٨، ح ٢٠.

الدنيا، وحينها يتوقف عن الرقي في مدارج الكمال الروحي، فحالة التأمل والتدبر تصبح مفقودة في نفسه، و تنعدم عملية الربط بين الأحداث وكلّ ما يجري حوله.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي: «وهنا يأتي دور العقل الذي يدفع الإنسان إلى الموازنة، بين المستقبل وبين الحاضر فيأمر الطالب بالاكتفاء بشيء من الراحة، والجهد من أجل الحصول على راحة أكثر بعد التخرج، وكذلك يأمر العامل بادخار علاوة معاشه من أجل أيام ضعفه.

والعلاقة بين الدنيا والآخرة هي العلاقة ذاتها بين الحاضر والمستقبل؛ إذ تدعونا الشهوات إلى صرف كل طاقاتنا في الدنيا حتى إذا انتقلنا إلى الدار الآخرة لا نجد فيها شيئاً، في حين أن العقل يدعونا إلى الموازنة بين الدنيا والآخرة.

وحين يتطلع الإنسان إلى الآخرة فإنّ مستقبل دنياه أيضا مضمون، إذ كلّ عمل يوفره البشر للآخرة يعطيه مردوداً دنيوياً أيضاً. وحين يهتم المرء فقط بالدنيا وشهواتها الحاضرة يكفر بالمستقبل لأنه لا يراه بل لا يريد أن يراه، وهكذا تحجب عنه جدران الشهوات النظر إلى رحاب المستقبل الواسع».

يوجه أمير المؤمنين عليه السلام الإنسان إلى الحالة المتّزنة التي

يجب أن يعيشها بتوصيف غاية في الدقة و الروعة، فيقول عليه السلام: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، و اعمل لأخرتك كأنك تموت غداً**»[1]، و يقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «**ليس منا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه**»[2].

فبالرغم من أنّ الأحاديث تتحدث بشكل واضح وصريح عن حالة التوازن بين الدنيا و الآخرة، وتحثّ على عدم الانجرار وراء الدنيا، إلا أن الكثير من البشر لا يفقه ذلك، و يغضّ الطرف عن هذه المعادلة، فتنقضي أيام دنياه وهو متعلق بها تعلقاً يفقده حالة الاتزان، وناسياً أو متناسياً آخرته.

و على الصعيد الاجتماعي نرى أن الناس في مجتمعاتنا، و في العالم من حولنا، يدخلون في صراعات ونزاعات، وحروب، وعداوات، مبنية على قضايا زائلة، وأمور تافهة، فلو أنّ الناس حكّمت عقولها لرأت أنّ كلّ هذه الصراعات لا قيمة لها إذا ما قيست بالحياة الآخرة، تلك الحياة الباقية، أما هذه الدنية فهي أدنى من كل شيء، وأقل من أن تستحق كل هذا الاهتمام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنما سميت الدنيا دنياً لأنها أدنى من كل شيء، وسميت الآخرة آخرة لأن فيها**

(١) مستند الشيعة – المحقق النراقي – ج ١٤ – الصفحة ١٣

(٢) من لا يحضره الفقيه – الشيخ الصدوق – ج ٣ – الصفحة ١٥٦

الجزاء والثواب»[1] ، ولكن الناس مع ذلك يتعلقون بهذه الدنيا الدنية.

في حديث جميل لرسول الله ﷺ يكشف لنا فيه عن سنّة إلهية مهمة، معاكسة تماماً لما يعتقده الكثير منّا، فيقول ﷺ: «**من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه، وجمع له أمره، ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قُسم له**»[2]

ربي ارجعون:

حسرة كبيرة يتعرض لها الإنسان في الحياة الآخرة، حينما يشاهد الفردوس والنعيم، ويرى المؤمنين منعمين في الروضات، تحفهم الملائكة و الحور العين، فيتمنى لو أنه استغل أوقاته في طاعة الله عزوجل، و حينما يشاهد النار والجحيم فيتمنى العودة للدنيا لعله يعمل صالحاً ينجيه من النار، و يبقى متحسراً على الأوقات التي ضاعت من عمره دون استغلال و عمل، يقول عزوجل :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٥٤ – الصفحة ٣٥٥

(٢) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ – الصفحة ٣٥

فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا
كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ
رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ
عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ
مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي
جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾(١)

الإمام الحسين عليه السلام يصف الدنيا:

إنّ القراءة الواعية المبنيّة على العقل المنفتح لثورة الإمام الحسين عليه السلام، تفتح لنا في كل عام آفاقاً جديدة من المعارف، و تعطينا دروساً جديدة، فثورة كربلاء ليست تاريخاً مضى و انتهى، وإنما هي قضية حاضرة متجددة، فهي تلامس واقعنا في كل يوم، وتفضح الزيف القائم في مجتمعاتنا، انظر إلى مشهد أهل الكوفة و كيف يتكرر أمامنا بصور مختلفة، وكيف أن

(١) المؤمنون: ٩٩ - ١١١

النـاس في كل زمـان يتخلـون عـن الحـق إمّـا طمعـاً في المـال، أو خوفـاً مـن السـلطان.

لذلـك فـإنّ المطلـوب منـا اليـوم أن نقـرأ كربـلاء قـراءة تلامـس الواقـع، لا قـراءة القصـص، فمثـلاً حينـما نقـف عنـد خطابـات الإمـام الحسـين عليه السلام في كربـلاء يجـب علينـا أن نسـتمع إليهـا وكأن الإمـام يخاطبنـا نحـن، لا أن نمـر عليهـا كـما نمـر عـلى النصـوص التاريخيـة التـي مضـت و انقضـت، فحينـما يصـف الإمـام الحسـين عليه السلام الدنيـا و أحوالهـا، وتقلبـات النـاس فيهـا، فـإنّ هـذا الخطـاب يلامـس واقعنـا اليـوم، والدنيـا التـي نعيشـها الآن.

قـال الإمـام الحسـين عليه السلام واصفـاً الدنيـا وأهلهـا وهـو في طريقـه إلى كربـلاء:

« إنـه قـد نـزل مـن الأمـر مـا قـد تـرون، و إن هـذه الدنيـا قـد تغـيرت وتنكـرت وأدبـر معروفهـا، فلـم يبـق منهـا إلا صبابـة كصبابـة الإنـاء، وخسـيس عيـش كالمرعـى الوبيـل، ألا تـرون أن الحـق لا يُعمـل بـه، وأن الباطـل لا يُتناهـى عنـه، ليرغـب المؤمـن في لقـاء الله محقـاً، فـإني لا أرى المـوت إلا سـعادة، ولا الحيـاة مـع الظالمـين إلا برمـاً. إنّ النـاس عبيـد الدنيـا، والديـن لعـق عـلى ألسـنتهم، يحوطونـه مـا درت معائشـهم، فـإذا مُـحِّصُوا بالبـلاء قل

الديّانـون»[1].

نستخلص من كلمة الإمام الحسين عليه السلام مجموعة من الرؤى و البصائر:

- إنّ من أهمِّ أهداف الإمام الحسين عليه السلام، وأهداف ثورته الخالدة، هو تبصير الإنسان واستثارة عقله، وتوجيهه إلى الله سبحانه و تعالى، و إلى الحق؛ فكلماته عليه السلام تهدينا إلى المنهج السليم الذي ينبغي علينا الانطلاق منه في تحركنا.
- يجب أن نقيس أنفسنا بميزان الحسين عليه السلام، فنعرض أنفسنا على كلماته و أفعاله عليه السلام، ثم ننظر أين نحن منها، فمثلاً حينما يصف الإمام عليه السلام الناس فيقول: «**الناس عبيد الدنيا**» يجب أن أسأل نفسي هل أنا عبد لهذه الدنيا؟ أم أنني استطعت التحرر منها؟ فمشكلتنا الحقيقية هي أننا نريد أن نستمع إلى هذه الخطابات ونرددها دون أن نسمح لأحد بقياس واقعنا عليها، فالخطيب عليه أن يذكر كلمات الحسين عليه السلام ومصيبته دون أن يسقط هذه الكلمات على الواقع، ودون أن يبيّن مواضع الانحراف الموجودة، ولا نريده أن يعالج هذا

(١) تحف العقول – ابن شعبة الحراني – الصفحة ٢٤٥

الواقع الخاطئ، هنا تكمن مشكلتنا فنحن لا نريد أن يقول لنا أحد ما: أنتم على خطأ .. أنتم بعيدون عن منهج الحسين عليه السلام، و الحال إن كلمات ومواقف الإمام الحسين عليه السلام هي لإصلاح واقعنا المعاصر، وليس فقط لإصلاح واقع الأمة السابق.

- رغم أنّ متاع الدنيا قليل و زائل، ورغم كونه كالقطرة المتبقية في الإناء، إلا أن الجميع يتكالب عليه، ويطمع في الحصول عليه.
- الحق هو المعيار، وهو الرحى التي يجب أن ندور حولها، لذلك يجب أن لا يكون مقياس الحياة عند المؤمن الرسالي هو القضايا المادية الزائلة من أكل أو شرب أو مال أو منصب، إنما المؤمن يقيسها على ضوء الأهداف والقيم الإلهية.
- تُرى ما هي قيمة الإنسان إذا جُرّد من حريته وكرامته؟! و لم يستطع إقامة الحق و العدل؟ لا ريب في أن الموت أهون عليه من هذه الحياة، «**فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً**».
- إذا ما تسلط الحاكم الجائر على الأرض أماتها بالجور و الظلم، ثم يميت قلوب الناس بالتضليل، ولا يبقي

لأحد حرمة لا في ماله و لا في عرضه أو دمه، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[1]، وهنا يأتي دور الطليعة الرسالية في التحرك و إنقاذ العباد من تسلط هذا الحاكم الجائر، «**ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً**».

- لا ينبغي للمؤمن الرسالي أن ييأس أو يقنط، و إن كان الظلم مستشرياً و الظالم قوياً، إلا أن المؤمن يرى أن قدرة الله أكبر، و مكره أعظم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[2]، و اليأس هو أحد المداخل التي يدخل بها الشيطان إلى الجماعة المؤمنة، فيقول لهم: إن عدوكم أكثر منكم عدداً، وأشدّ قوة، و من المستحيل أن تهزموه أو أن تغيروا واقعكم وهذه الوسوسات الشيطانيّة تقود إلى التراجع عن المسيرة والاستسلام للواقع، ولذلك فإن الإمام الحسين عليه السلام بثورته قد حطّم خيوط الشيطان، وبيّن لنا أن الحق هو المعيار، و ليس من شيء سوى الحق.

---

(١) البقرة: ٢٠٥

(٢) الأنفال: ٣٠

- هب أن الإمام الحسين عليه السلام ظهر اليوم بيننا، من الذي سينصره؟ هل سنكون نحن ممن يقف معه ونحن من يردد دئما: «**ياليتنا كنا معكم**؟» أم أننا -و العياذ بالله- سنقف في وجهه ونتخاذل عن نصرته؟! صحيح أننا نقول: «**ياليتنا كنا معكم**» ولكن الأماني لا تكفي، فإنها إذا لم تتحول إلى عمل و سعي بقيت أماني تكرس التخاذل و السلبية في نفوسنا، و تشل طاقاتنا العمليّة، فهي لا تثير فينا إلا الخيال والذي لا يُغني عن الحق شيئاً.

وهنا نشير إلى ملاحظة مهمة وهي: إن البعض يقول ليس في وقتنا الحاضر إمام نقاتل معه، لذلك فليس علينا من تكليف، و لا معنى لكلمة ياليتنا كنا معكم في هذا الوقت.

ونتساءل هل الإمام الحسين عليه السلام فقط حربٌ و قتال؟ ألم يخرج الإمام من أجل كل القيم السماوية؟ فلو أننا افتقدنا مثلاً قيمة الصدق في مجتمعنا أليس مطلوب منا أن نأمر بالمعروف و ننهى عن المنكر و نبحث عن أسباب انتشار الكذب و سبل العلاج .

الناس عبيد الدنيا:

كيف يكون الإنسان عبداً للدنيا؟

وهل خطاب الإمام يشملنا نحن أم أنه موجّه فقط للكفار؟

يكون الإنسان عبداً للدنيا حينما يقدم الدنيا على الآخرة، وحينما يقدم شهوته الحاضرة على نعيمه الدائم، حينما يتجاوز الحق و القيم السماوية من أجل مصالحه الخاصة، و حينما يغلف رغباته بمجموعة من المبررات الواهية رغبة في إرضاء هواه، عند ذاك يكون الإنسان عبداً للدنيا.

إنّ خطاب الإمام عليه السلام ليس موجهاً لغير المؤمنين فقط، بل هو موجّه لنا جميعاً، وقد تسأل و كيف ذلك ونحن نؤمن بالله و نصلي و نصوم ونحج؟

صحيح كل ذلك، ولكن أين موقع الدين وتعاليمه من حياتنا اليومية؟ فنحن في كل لحظة أمام مفترق طرق، إما حق وإما باطل، فهل نضع الدين في رأس أولوياتنا؟ أم أن مصلحتنا هي الأساس؟

انظر إلى نفسك وإلى أعمالك اليوميّة، حينما تكون في السوق أو حينما تنجز معاملة مالية، هل تقدم تعاليم الدين أم أنك

تغـض الطـرف عـن بعـض أوامـر الله بحجـة أو بأخـرى إرضـاء لرغباتـك ، وتكـون رغباتـك و دينـارك هـو دينـك ، إذن فأنـت قدّمـت الدنيـا عـلى الآخـرة ، وكنـت عبـداً للدنيـا كـما قـال الإمـام الحسـين عليه السلام.

انظـر إلى المجتمـع مـن حولـك سـترى إخـوة يتصارعـون عـلى مـال و ثـروة، فيفسـق كل واحـد منهـم الآخـر، أو شـخص يقـترض مـال مـن صديقـه ثـم ينكـره ولا يعيـده، انظـر إلى المشـاكل الاجتماعيـة المنتشرة في المجتمـع، وإلى قصـص الاحتيـال و النهـب، وإذا نظرنـا إلى الجانـب السـياسي فحـدّث و لا حـرج، كل يجـر النـار إلى قرصـه و يكفـر الطـرف الآخـر، ويفتعـل صراعـات لا أسـاس لهـا فقـط مـن أجـل إسـقاط الخصـوم، أمّـا في عـالم اليـوم فحـروب تُؤسـس تحـت شـعارات زائفـة، ويُقتـل البـشر باسـم الديـن و الحـق.

و نشـير هنـا إلى نقطـة مهمـة وهـي: قـد يتصـور البعـض أنـه بعيـد عـن الانـزلاق في مثـل هـذه الحفـر لأنـه لا يملـك المـال أو السـلطة ، ولكـن الواقـع هـو أنـه ربـما يسـقط الفقـير أيضـا في امتحـان المـال، ولربـما يسـقط الإنسـان العامـل في فـخ الظلـم، ولربـما يسـقط المتديّـن في المنزلقـات الاجتماعيـة.

الدين لعق على ألسنتهم:

ظاهـرة ادّعـاء التديـن أو التديـن الظاهـري موجـودة في كل المجتمعـات، لذلـك نـرى أن الإسـلام يؤكـد عـلى الإيـمان الحقيقـي الراسـخ في القلـب، و الـذي تصدّقـه الأعـمال في الخـارج، فقـد قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الإيـمان قـول وعمل، أخـوان شريـكان**»[1] ذلك أن أدعيـاء الديـن كثـر طالمـا كان الديـن يتوافـق مـع مصالحهـم، ولكـن إذا خالـف الديـن مصالحهـم ظهـرت حقائقهـم، وتخلّـوا عـن قيـم الديـن مـن أجـل رغباتهـم، و فقـدوا إيمانهـم، وطفقـوا يشـككون في مبـادئ دينهـم،

فهـؤلاء المتظاهـرون بالتديـن و الإيـمان، الذيـن يهربـون مـن الحكـم الإلهـي عنـد التطبيـق إلى التشريـع الجاهـلي.

و قـد وصفهـم الإمـام الحسـين عليه السلام بقولـه: «**إِنَّ النَّـاسَ عَبِيـدُ الدُّنْيَـا وَالدِّيـنُ لَعْـقٌ عَـلَى أَلْسِـنَتِهِمْ يَحُوطُونَـهُ مَـا دَرَّتْ مَعَايِشُـهُمْ فَـإِذَا مُحِّصُـوا بِالْبَـلَاءِ قَـلَّ الدَّيَّانُـون**»[2].

فإذا محصوا بالبلاء:

لا يُعـرف جوهـر الإنسـان إلا عندمـا يمـر بامتحانـات عـدّة

(١) كنز العمال: ٨٥، ٥٩، ٢٦٠، ٤٢٢

(٢) تحف العقول – ابن شعبة الحراني – الصفحة ٢٤٥

في حياته الدنيا، فالإنسان لا يستطيع أن يقول أنّه مؤمن وهو لم يمر بعد بالاختبارات و الامتحانات ، كما أنّه لا يستطيع أن يدّعي أنه حر ما لم يتحرر حقيقة من ملذات هذه الدنيا، و عبودية المادة.

يقول عزوجل: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1]، فحينما يتعرض الإنسان للبلاء الشديد، وتنزل به المصائب و المحن، عند ذلك فقط يتبيّن المؤمن الصادق من المؤمن الكاذب، انظر إلى المجاهدين في سبيل الله كيف يتعرضون للسجن والتعذيب والتشريد والقتل إلا أنّهم يصمدون و يحافظون على إيمانهم، بل يزدادون إيماناً ويقيناً ، لقد ورد في الخبر: « **قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يؤخذ فَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُفَرَّقُ فِرْقَتَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ**»[2].

يقول الإمام علي عليه السلام: «**في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال**»[3]، تقلبات الدنيا تكشف حقائق الرجال، فمتاع

(١) العنكبوت: ٢ – ٣

(٢) جوامع الجامع للطبرسي: ج٢، ص٧٦١.

(٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧٤ – الصفحة ٢٨٦

الدنيا كالمستنقع والناس في وسطه غرقى، كلّ منهم يريد النجاة حتى وإن أغرق الآخر، ما يهم هو «الأنا» فقط، وهنا يأتي الشيطان فيزيّن للناس ويمنيّهم، فإذا وجد استجابة منهم استحوذ و سيطر عليهم، يقول عزوجل: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1].

فاستسلام الإنسان للشيطان، وضعفه أمام إغراءاته، وفتح الطريق أمامه، واتباع خطواته، يجعل الشيطان مسيطراً عليه فيسوقه سوقاً إلى حيث يشاء، ولقد ورد في التفاسير حول معنى كلمة ﴿ ٱسْتَحْوَذَ ﴾: «أي استولى وتسلّط على مجامع قلوبهم، و قيل أنها من أحوذ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، وإذا جمعهم الشيطان فقد غلبهم وقوي عليهم. وقال بعضهم: أنه من الحوذ وهو ظاهر فخذ الإبل حيث تساق من خلال ذلك المحل، والمراد واضح وهو الغلبة عليهم».

و إنّ الشيطان ليبدأ في السيطرة على الإنسان ابتداء من الخطوات الصغيرة، خطوة فخطوة حتى يتمكن من صاحبه، مستخدماً شتى الأساليب الماكرة، فيزيّن الدنيا له، و يلبس الحق بالباطل. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ

(١) المجادلة: ١٩

تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله، يَتَوَلَّى فِيهَا رِجَالٌ رِجَالًا، فَلَوْ أَنَّ البَاطِلَ خَلَصَ لَمْ يَخْفَ عَلَى ذِي حِجًى، ولَوْ أَنَّ الحَقَّ خَلَصَ لَمْ يَكُنِ اخْتِلَافٌ، ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَيَجِيئَانِ مَعاً فَهُنَالِكَ اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ونَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الله الحُسْنَى»[1]

و لذلك فإنّ الإمام الحسين عليه السلام قد بيّن لنا هذه الحقائق في كلمته، فبعد أن بيّن لنا كيف أنّ الكثير من الناس يدينون بالدين الظاهري، و أنّ الإيمان لم يستقر في قلوبهم حقيقة، يقول لنا حينما تأتي الفتنة تكشف معادن الناس، فيظهر من يحمل في قلبه إيماناً حقيقياً ممن يحمل إيماناً ظاهرياً متعلقاً بمصالحه فقط **«إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قل الديانون»**[2].

نشير هنا إلى نقطتين مهمتين:

- الشيطان هو كل من يدعو الإنسان إلى معصية خالقه، كوسائل الإعلام المضلّلة، أو الأنظمة الطاغوتية المنحرفة، أو الأحزاب والحركات الضالة، بل وحتى علماء السوء.

(١) الكافي: ج١، ص ٥٤

(٢) تحف العقول – ابن شعبة الحراني – الصفحة ٢٤٥

- الشيطان - بأنواعه المختلفة- يأتي للجميع ولا يستثني أحداً، بل ويدخل للإنسان حتى من أبواب العبادة، ألا ترى أنك حينما تكبّر للصلاة كيف تهجم الأفكار و الخواطر عليك، فتفكر في كل شيء أثناء الصلاة إلا في ربك و صلاتك، فيفرغ الشيطان هذه الصلاة من محتواها الحقيقي، ويبقي فقط على حركاتها الظاهرية، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الرجلين من أمتي يقومان في الصلاة، و ركوعهما وسجودهما واحد، و إن ما بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض**»[1]، و يقول أمير المؤمنين عليه السلام: « **يا كميل! ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، إنما الشأن أن تكون الصلاة فعلت بقلب نقي، وعمل عند الله مرضي، وخشوع سوي**»[2]

مبررات واهية:

عندما يقع الإنسان في فخ الشيطان فإنه دائماً ما يخلق لنفسه مبررات ليوقف حالة التأنيب الداخلي لما يرتكب من محرمات، وليدافع عن نفسه أمام الناس، حتى أنه قد يلبس عمله أحياناً لباس الدين و الإيمان.

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١٦٣٢

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١٦٣٢

ألم ينادي عمر بن سعد في كربلاء : « يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري»[1] ؟!

و ألم يدّعي أعداء الإمام الحسين عليه السلام أنهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله عزوجل ونصرة دينه؟!

انظر إلى من سلبوا بنات الرسالة في كربلاء كيف كانوا يبررون لأنفسهم فعلتهم القبيحة ، فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام أنها قالت:

«دخلت الغانمة[2] علينا الفسطاط، وأنا جارية صغيرة وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلي وهو يبكي..

فقلت: ما يبكيك يا عدو الله؟

فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقلت: لا تسلبني

فقال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه! »[3]

كل هذه المبررات واهية لا أساس لها، والحال أن الله

(١) أعيان الشيعة – السيد محسن الأمين – ج ١ – الصفحة ٦٠٠

(٢) الجنود الذين سلبونا

(٣) أمالي الصدوق: ص ١٣٩، المجلس ٣١، ح ٢.

عزوجل يقول في كتابه المجيد: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1]. و في آية أخرى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[2].

مسلم بن عقيل و المجتمع الكوفي:

لو بحثنا عن جذور مشكلة التدين الظاهري و تعلق الناس بالدنيا، لوجدنا أنّه حب الناس للدنيا و تعلقهم بحطامها وزينتها، فـ «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[3] كما يقول الإمام الصادق عليه السلام، فحينما تقبل عليهم الدنيا يريدونها لأنفسهم فقط، ولا يحبون مشاركة أحد لهم فيها، ولكن حينما يقبل البلاء و التحدي تراهم يقولون: لماذا نحن وليس أحد سوانا؟!.

حينما نقوم بدراسة للواقع الاجتماعي والسياسي لتاريخ الأمم، نجد أن طائفة كبيرة من اللّاهثين وراء الدنيا هم ممن غرهم المال وزينة الدنيا، و مالوا إلى الدعة والراحة، ولم يتحمّلوا مسؤولياتهم، و ربنا يؤكد أن شيئا من حطام الدنيا لن ينفعهم إذا حلّ بهم العذاب يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ

(١) المدثر: ٣٨

(٢) الطور: ٢١

(٣) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٦ - الصفحة ٩

فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]، و هكذا يوظف الطاغوت الأموال والأنصار من أجل تحقيق أهدافه، و القضاء على كل مصلح.

لنتدبر معاً في قصة مسلم بن عقيل مع أهل الكوفة ونحاول أن نستخلص منها مجموعة من الرؤى و العبر:

«لما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية، اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا ما كان، واتفقوا على أن يكتبوا للحسين عليه السلام بالقدوم إليهم، وخطبت بذلك خطباؤهم فكتبوا إليه كتباً، حتى بلغت الكتب اثني عشر ألفاً، وهي تنطوي على طلب قدومه والعهد له ببذل النفس والنفيس دونه.

فلمّا رأى الحسين عليه السلام ذلك، دعا مسلم بن عقيل رضي الله عنه وأمره بالرحيل إلى الكوفة وأوصاه بما يجب، وكتب معه إلى أهل الكوفة مجيباً لما كتبوه إليه:

«أمّا بعد، فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، و كانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت ما اقتصصتم من مقالة جلكم: إنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والهدى، وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع

(١) آل عمران: ١١٦

رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام».

فما أن قدم مسلم إلى الكوفة إلا وتكوفت جماهير الرؤساء لأخذ يمينه يبايعونه نائباً عن الحسين عليه السلام، ونزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، فحضرته الشيعة واجتمعت له فقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام، وخطبت بمحضره خطباؤهم فانتهى ديوانه إلى ثمانية عشر ألف مبايع أو أكثر. فكتب مسلم إلى الإمام الحسين عليه السلام بإقبال العامة وإخلاص الخاصة، وحث الحسين عليه السلام على القدوم إلى العراق.

وحينما بلغ الأمر يزيد بن معاوية خاف على الكوفة، و أنهى الأمر إلى ابن زياد و أمرّه، وهو يومئذ والي بالبصرة، فضم إليه معها الكوفة، وكتب إليه: «أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة، حتى تثقفها وتوثقه أو تقتله أو تنفيه».

فقدم ابن زياد إلى الكوفة بكل جسارة، ودخلها متنكراً

ومتلثّماً، حتى بلغ قصر الإمارة، فطرق الباب على واليها المحصور النعمان بن بشير، حتى إذا عرفه فتح الباب ودخل، عند ذلك فشا خبره وأنه ابن زياد، فباتت الكوفة تلك الليلة تغلي كالمرجل بين مثبت ومثبط ، وأخذ ابن زياد في قبضته المال والسلاح ، وأصبح مناديه يجمع الناس لخطابته في الجامع الأعظم، فرقى المنبر بكل جسارة ، فصار يعد ويوعد، وراح يهدد بمواعيد جسام ويهدد مخالفيه بحد الحسام والسيف مصلت بيده.

ثم أضحى مناديه يجمع الرؤساء والعرفاء إليه، لأخذ المواثيق وإنجاز المواعيد وتوزيع العطايا ومعاقبة المتخلفين عقوبة صارمة، فهرع لندائه خلق كثير وانقلبت القلوب وانحرفت الوجوه وتبدلت لهجات الأندية.

ثم نفى ابن زياد الرجال العاملين لمعونة مسلم من بلده، وزجّ في السجن من وجوه الشيعة أمثال المختار بن أبي عبيد الثقفي والمسيب بن نجبة وسليمان ورفاعة وغيرهم، واستوظف آخرين واختفى بعد ذلك أكثر المتهوسين في زوايا البيوت.

فبقي مسلم - وهو الذي بايعه أكثر من ثلاثين ألف مسلم - وحيداً فريداً بعد القبض على الوجوه من أوليائه،

فلاذ بصديقه هاني أكبر مشايخ الكوفة، فاستقبله هاني واستضافه .. ثم دبر ابن مرجانة حيلة الفتك بهاني، فأحضره لديه بحجة مداولة الرأي معه في الشؤون الداخلية، ثم لما حضر لديه غدر به ابن زياد وشتم عرضه وهشم أنفه وقطع رأسه.، بعد أن امتنع هاني من تسليم مسلم بن عقيل.

وكان لهذه الحادثة دوي في الرؤوس وفي النفوس، واستولت بذلك دهشة على الجمهور، أدّت إلى تفرّق الناس من حول مسلم رضي الله عنه، فأمسى وحيداً حائراً بنفسه ومبيته، وأشرف في طريقه على امرأة صالحة في كندة تسمى طوعة جالسة على باب دارها، فاستسقاها مسلم ماء، فجاءته به وشرب، ثم وقف يطيل النظر إلى مبدأ الشارع تارة وإلى منفذه أخرى، كأنه يتوقع من يتطلبه، فتوسمت المرأة فيه غربته وسألته. فعرّف نفسه، فاستعظمت طوعة ذلك ودعته إلى بيتها لتخفيه حتى الصباح، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فأوهمه تردد أمه إلى البيت فقال لها: والله ليريبني كثرة دخولك هذا البيت.

ثم ألح عليها، فأخذت عليه العهود كي لا يفشي سرها وسر مندوب الحسين عليه السلام مسلم، وأخبرته بالأمر بعد الأيمان، ثم إن الغلام غدا عند الصباح إلى ابن الأشعث وأفشى له سر مسلم ومبيته، فأبلغ بذلك ابن زياد فأرسل الجموع للقبض عليه .

وكان مسلم يتلو القرآن دبر صلاته، إذ سمع وقع حوافر الخيل وهمهمة الفرسان ، فبرز ليث بني عقيل من عرينه مستقبلاً باب الدار والعسكر وعليهم محمد بن الأشعث، وانتهى أمر المتقابلين إلى النزال، ومسلم راجل وهم فرسان، لكن فحل بني عقيل شد عليهم شد الضرغام على الأنعام وهم يولونه الأدبار ويستنجدون بالحاميات، وقذائف النار تُرمى عليه من السطوح، وهو لا يزال يضرب فيهم بسيفه، إلى أن أوقعوا به وأسروه.

ثم جرّوه إلى القصر، فأقبل ابن زياد على مسلم يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً، إلى أن أمر بقتله، فصعدوا به أعلى القصر وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسوله، ثم ضرب عنقه بكير بن حمران ثم أتبع رأسه جسده من أعلا القصر»[1].

رؤى وبصائر:

ونستخلص من قصة مسلم بن عقيل مجموعة من الرؤى:

- لقد كان مسلم بن عقيل يمثل القيم الخيّرة، وابن زياد

(١) تاريخ الكوفة – السيد البراقي – الصفحة٣٢٤ – ٣٣١ بتصرف

كان يمثل الدنيا، والناس كانوا عبيداً لهذه الدنيا، فبعد أن بايعوا مسلماً نقضوا بيعته حينما مُحِّصوا بالبلاء قل الديانون و انفضّوا من حول سفير الحسين عليه السلام.

- طبيعة البشر المغترين بالدنيا هي الهروب من تحمل المسؤولية، فإذا كان الدين مع مصالحهم فهم يسرعون إليه تحقيقاً لمصالحهم «**يحوطونه ما درّت معائشهم**»، ولكن حينما يصبح تحمل المسؤولية ثقيلاً، ويكلِّف الإنسان مجموعة من الضرائب، فإنّ الناس تتخلى عن هذا الدين، ويسوقون مجموعة من المبررات لذلك مثل قولهم: ليقم بهذا الدور غيري ، لماذا أنا فقط من يقوم بذلك؟ أنا لا استطيع ، يجب أن أحقن دمي فأنا لدي عائلة، وغيرها من الحجج التي تجعل الإنسان يهرب من تحمل المسؤولية.
- موقف واحد نابع من إيمان صادق يقوم به الإنسان في حياته يكتب له الخلود في الدنيا، و النجاة في الآخرة، فالإنسان بمواقفه و أفعاله، و هكذا كانت طوعة المرأة المطيعة لله سبحانه و تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بنصرتها لمسلم بن عقيل حينما خذله رجالات الكوفة، فقد خلّدها التاريخ، وسيبقى المؤمنون يحتذون بها على مدى الازمان.

- «**إنّ من لا ينفعه الحق يضرّه الباطل**»[1] كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، فالصراع سنّة في هذا الكون، ومن لا يقف مع الحق فإن الباطل سيخذله، فهل ربح من تخلى عن مسلم بن عقيل، ورفع شعار «ما لنا والدخول بين السلاطين»، هل سلم من السلاطين؟ أم أن الكثير منهم قد قُتل على يد أبطال كربلاء.
- إن الاستقامة و الصبر والثبات وغيرها من الصفات الرسالية تُمثِّل أهم الخصائص التي يجب التحلّي بها عند الشدائد والملمّات والفتن والمصائب، كما أنه يجب علينا أن نتمعن في التأريخ، ونتأمل في حوادثه؛ كيف كانت، وإلى أين آل بها الأمر، ثم كيف انتهت بانتصار الأتقياء والمؤمنين والصالحين، وكيف نالوا خير الجزاء وعظيمه؟ فإنّ استلهام العبر من التأريخ ينفعنا في بناء المستقبل المشرق الزاهر.
- إنّ الإيمان الحقيقي يتجلّى حينما يفترق الحق عن المنفعة و المصلحة، وحينما يتباعد الهدى عن الهوى، ويصبح الإيمان مكلفاً للإنسان، «**يأتي على الناس زمان الصابر**

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٩٣.

منهم على دينه كالقابض على الجمر»[1]، عندها تظهر بواطن النفوس، و تنجلي الحقيقة، وما حصل في المجتمع الكوفي هو مثال واضح لذلك، و إن اعتقد الناس أن لهم العذر إلا أنه لا عذر لأحد يترك جهاد الطاغوت ومحاربة الشيطان، فما فعله مسلم بن عقيل قد قطع عذر كل معتذر، فقد واجه مسلم الطاغوت لوحده، ولم يضع لنفسه أي عذر وأي مبرر.

- حينما يحدد الإنسان هدفه من هذه الدنيا، ويسعى بخطى حثيثة نحو آخرته، متحرراً من ذاته، و من شح نفسه، حينها يسترخص كل ما يحل به في هذه الدنيا الفانية، لأنه يعلم علم اليقين أن الجزاء الذي ينتظره عظيم جداً، فهذا مسلم بن عقيل يقاتل لوحده الأعداء وهو يعلم أن مصيره الموت، وهذي طوعة تستضيف مسلم مع ما تعلمه من خطورة هذا الفعل، وذاك زهير بن القين يخاطب الإمام الحسين عليه السلام: «لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلّدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها»[2].

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢٨ – الصفحة ٤٧

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٤٤ – الصفحة ٣٨١

المرأة الرساليّة
و الدور المطلوب

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]

لا يمكن الحديث عن عاشوراء والقضية الحسينية بعيداً عن الإسلام وقيمه وتعاليمه؛ فالثورة الحسينيّة المباركة انطلقت من تلك القيم السامية وجسّدت رؤى الإسلام ومعانيه في كل مفاصلها وتوجّهاتها، كما أنّه لا يمكن الحديث عن القضية الحسينيّة من دون التوقف عند الدور الكبير الذي جسّدته المرأة بحضورها وعطائها وتضحياتها على كلِّ صعيد انطلاقاً من رؤى الإسلام في نظرته لدور المرأة ومكانتها في الحياة الاجتماعيّة والفكريّة والسياسيّة والعلميّة.

فالإسلام يرى أنّ المجتمع الإنساني لا يمكن أن تستقيم

(١) يوسف: ١٠٨

أموره بفقدان أي من الدورين "الرجالي والنسائي" ذلك أنّ المجتمع والحياة بشكل عام بحاجة إلى الدورين معاً وفي آن واحد.

فالإسلام إذاً لم يفضل في يوم ما الرجل على المرأة، ولا المرأة على الرجل، بل ينظر إلى هذين العنصرين نظرة واحدة لا انحياز فيها لطرف ولا تفضيل لأحد على الآخر، بل ساوى بين الاثنين في الحقوق الإنسانيّة كافة، ولم يفرّق بينهما حتى في المسائل الأخروية كالجزاء والحساب والثواب والعقاب، فنشاهد القرآن الكريم يقول بصراحة: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[1]، ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2]، وغيرهما من الآيات القرآنية التي تقرن المرأة بالرجل في عمل الصالحات واستحقاق المثوبة وتسجيل الأعمال، وهل هناك نظرة للمرأة أسمى من هذه، وموقف حيال المرأة أروع من هذا الموقف الذي لا يفرق بينها وبين الرجل في القرب من الله تعالى والحصول على نعمائه ورضوانه؟ وهل هناك مبدأ آخر غير الإسلام يرفع من شأن

(١) النساء: ١٢٤

(٢) غافر: ٤٠

المرأة إلى هذه الدرجة، ويضفي عليها هذه القدسيّة ويقرّبها من منابع الفيض الإلهي؟ فأيّ فرق بين الرجل والمرأة إذاً من وجهة النظر الإسلامية؟ لا فرق بينهما مطلقاً، فبإمكان أيٍّ منهما أن يسمو ويرتفع بعمله عبر الطريق إلى الله تعالى، وبإمكان المرأة أن تسبق الرجل وتجتازه مادام الشرط الوحيد هو العمل الصالح والسلوك الحسن لا فرق في ذلك بين أن يكون السالك رجلاً أم امرأة.

وقد صرّح القرآن الكريم أن أساس التفاضل بين الناس هو «التقوى».. التقوى ولا غير، سواء كانت تلك التقوى صادرة عن رجل أو أنثى، مادام كل منهما يشترك في تكوينه ذكراً وأنثى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1].

لقد أورد القرآن الكريم إلى جانب كلّ عظيم وقدِّيس عظيمة وقدِّيسة من نساء آدم وإبراهيم إلى أمهات موسى وعيسى، وإذا كان قد أشار إلى امرأتي نوح ولوط كشخصيتَين منحرفتين، فقد أشار إلى امرأة فرعون كشخصية قويمة صالحة، وكأنّما أراد القرآن أن يحفظ التوازن بين الرجل والمرأة حتى في قصصه وآياته، وجسّد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الموقف

(١) الحجرات: ١٣

الإسلامي في التعامل مع المرأة أروع تجسيد عندما قال: «**خيركم، خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلاّ كريم ولا أهانهن إلاّ لئيم**»[1]، وفي حديث آخر: «**خيركم، خيركم لنسائه ولبناته**»[2] كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبشرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**»[3].

ولاشك أن المرأة لعبت دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة منذ صدر الإسلام حيث اعتنقت الإسلام منذ نزول الوحي إذ كانت خديجة رضوان الله تعالى عليها زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي أول من أسلم به من النساء، وتكشف دراسة شخصيتها عن درجة عالية من الوعي السياسي، واستمر دور المرأة بعد ذلك في الدور الكبير الذي قامت به فاطمة الزهراء عليها السلام جهاداً في الوقوف مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم مع زوجها علي أمير المؤمنين عليه السلام، إضافة إلى أدوارها المتعددة على الصعيد التربوي والاجتماعي إلى درجة

(١) الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي - ج ١ - الصفحة ٦٣٢

(٢) الخير والبركة في الكتاب والسنة - محمد الريشهري - الصفحة ١٣٤

(٣) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام - الصفحة ٥٢٩

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنّاها «**بأم أبيها**»[1].

وامتدّ ذلك الأثر الطيب جهاداً وحضوراً في دور العقيلة زينب عليها السلام التي رافقت شقيقها سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام في ثورته المباركة ضد الظلم والطغيان والتسلط الذي تمثل في الحكم الأموي ممثَّلاً بشخصية يزيد بن معاوية.

بعد هذه المقدمة المختصرة، فإنه مما لا شك فيه أن يقودنا ذلك للحديث عن أهمية المشاركة النسائية في الشعائر الحسينية لما كان للمرأة من حضور كبير في القضيّة الحسينيّة على أكثر من صعيد.

أهمية المشاركة النسائية في الشعائر الحسينية:

لا بدّ من الإشارة إلى أن الدور والواجب على المرأة الرسالية أداؤه ليس هدّية يقدّمها الرجل لها، فإذا امتنع من تقديمه فلا دور لها في الحياة، بل هو حق من حقوقها ومسؤوليّة من مسؤوليّاتها، وعليها أن تلتزم هذا الحق وتمارس هذه المسؤوليّة، وإلا فلن يشفع لها أمام الله والتاريخ أن تعتذر بأن الرجال لم يتركوا لها واجباً أو لم يقدّموا لها دوراً.

ومن هنا كان واجباً عليها أن تعتني بنفسها لرفع مستواها

(١) الأسرار الفاطمية – الشيخ محمد فاضل المسعودي – الصفحة ٣٧

الفكـريّ والسـياسيّ والثقـافيّ والدينـيّ والعلمـيّ، والاقتـداء بنـماذج للمـرأة المجاهـدة مـن طـراز المجاهـدات الكبـيرات، فاطمة الزهـراء، وزينـب الكـبرى عليهـما السـلام.

فالمـرأة يجـب أن تسـبق الرجـل في تحمّـل المسـؤولية، ذلـك لأن المـرأة تصـل حـدّ البلـوغ الشرعـي قبـل الرجـل بأربـع سـنوات، لـذا عليهـا أن تسـبق الرجـل بأربـع سـنوات في العمـل وأداء الواجـب إذ إنّ صياغـة التاريـخ وصناعتـه ليسـت حكـراً عـلى الرجـال، وقـد تـؤدي المـرأة في هـذا المضـمار دوراً يعجـز الرجـال عـن القيـام بمثلـه، والمـرأة جـزء لا يتجـزّأ مـن المجتمـع، بـل هـي أم المجتمـع وصانعـة رجالـه وأبطالـه، بـل إنّ المـرأة تشـاطرهم في هـذه المهمـة العليـا، وقـد قيـل بحقهـا «وراء كلّ رجـل عظيـم امـرأة».

إنّ ذلـك يحتـم أن تتحمّـل المـرأة مسـؤوليتها ودورهـا في المشـاركة في قضيّـة الإمـام الحسـين عليه السلام بشـكل فعّـال وجـاد مـن خـلال العطـاء والفكـر والأداء الـذي يتناسـب مـع هـذه القضيّـة العظيمـة التـي تجـاوزت حـدود الجغرافيـا والأرض واخترقـت جـدران الزمـن إذ أنّ «**كل أرض كربـلاء وكل يـوم عاشـوراء**»، ولكـن السـؤال الـذي يطـرح نفسـه هـو: كيـف نسـتطيع أن نحقّـق حضـوراً نسـائياً في إحيـاء الشعائر الحسـينية بحيـث نرتقـي بأنفسـنا لمسـتوى الثورة الحسـينيّة المباركـة؟.

الثورة الحسينية وصياغة الوعي الاجتماعي

لأنّ الثورة الحسينيّة انطلقت من قيم الإسلام السامية فإنّها تبنّت تلك القيم وجعلتها أساساً لبناء الأرضيّة الصالحة من أجل إيجاد المجتمع الفاضل الذي يقوم على أسس الأخلاق والفضيلة والمعاملة الحسنة والعلاقات الطيبة بين الناس، وهذا ما ينبغي أن يكون الهاجس الأكبر لكل مشاركة نسائية في إحياء الشعائر الحسينية، سواء ما يرتبط بالخطاب أو الأداء أو السلوك أو المشروع بشكل عام، وهذا يستلزم بطبيعة الحال إعادة النظر بشكل دائم في كل ممارساتنا من أجل التطوير إلى الأفضل، وخلق المزيد من الإبداع من خلال التمسُّك بثوابت الثورة الحسينية ومواكبة التطورات العلميّة والمعرفيّة والتكنولوجيّة في عصرنا، وكذلك المتغيّرات الاجتماعيّة والسياسيّة، وهذا ينطبق على المشاركة النسائية من خلال "الحسينية" أو الحضور في المجالات الأخرى كالثقافة والإعلام والمسرح والمرسم وما أشبه.

المشاركة الحسينية النسائية والدور المطلوب

لا شك أنّ حضور المرأة من خلال المجلس الحسيني ترك تأثيراً كبيراً في ربط الأجيال بالقضية الحسينيّة وغذّى في نفوس الأبناء روح الولاء والتضحيّة والعطاء من خلال الممارسات التي

كانت تقوم بها المرأة في حضورها الولائي والتقليدي في إقامة الشعائرالحسينية، ولكن مع كلّ ذلك فإن المجلس الحسيني النسائي بحاجة إلى تطوير واهتمام أكبر، خاصة في ظل الكثير من المتغيرات الكبيرة، إذ لا يكفي أن تُختَزل القضية الحسينية في صورة ضيّقة ترتبط فقط بسرد السيرة العاشورائية، والتي يغلب عليها الطابع الرثائي البحت، بل لابدّ من التوقف عند المفاهيم الكبيرة للثورة الحسينيّة، والتراث الذي خلّفته العترة الطاهرة من أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام من أحاديث وروايات وحكم تصب في مختلف الجوانب الحياتيّة، وهذا يستدعي أن نعزز المجلس الحسيني النسائي بمحاضرات تربوية تتناول القضايا المختلفة في حياتنا اليوميّة على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي انطلاقا من خطب أبطال كربلاء ومواقفهم الإيمانيّة والبطوليّة التي جسّدوها بالعطاء والدم في معركة العزة والشرف والكرامة، وكم هي عظيمة تلك الكلمات والمواقف التي جسّدها الإمام الحسين عليه السلام، والإمام السجاد عليه السلام، وأبو الفضل العباس عليه السلام، وكذلك علي الأكبر عليه السلام، أو القاسم بن الحسن عليه السلام، أو أصحاب الإمام الحسين عليهم السلام شيوخاً وأطفالاً، وعلى صعيد النساء تبدوا لنا العقيلة زينب بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام، التي تميّزت في مواقفها وخطاباتها وصبرها، وكذلك

بقيّة النسوة المضحّيات، وفي ذلك مخزون كبير لزاد تربوي وأخلاقي، ومصنع لصياغة فكر نهوضي قائم على الإيمان بالله وبرسوله وأهل بيته الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللّطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا بماذا تخلفوني فيهما**»[1].

إنّ الحسينيّة النسائيّة ينبغي أن تُطور، سواء من حيث المضمون، أو من حيث الأداء، وهذا يتطلب أن تتحمل المرأة الرسالية دورها ومسؤوليتها في التصدّي للقيام بهذا الدور الكبير، من أجل أن نؤدّي حق الشعائر الحسينيّة بالشكل المناسب والأفضل بإذن الله.

المشاركة النسائية والإعلام الهادف

في نفس الوقت الذي يشكّل فيه خطاب الثورة الحسينية المباركة مادة تربويّة وأخلاقيّة، فإنّه في نفس الوقت يشكّل إعلاماً هادفاً يستثير العواطف، ويشحذ الهمم، ويغذي النفوس باتجاه الاندفاع للتمسك بالحق، ورفض الباطل،

(١) كمال الدين وتمام النعمة – الشيخ الصدوق – الصفحة ٢٣٥

والوقوف إلى جانب الحق، وقد ترك هذا الخطاب بالغ الأثر في معسكر العدو وأرعبهم، كما أنّه فضح زيف الحكم الأموي وكذبه، وبدا ذلك في خطب الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام في الكوفة أو في الشام أمام طواغيت لا يتورّعون عن القتل والتنكيل، وكذلك خطابات العقيلة زينب عليها السلام التي كانت تتوعد الطاغية يزيد وهو في مجلس الحكم ومع كل الصعوبات وفي ظل تلك الظروف القاسية التي كانت تعاني منها العقيلة زينب عليها السلام إلا أنها كانت تتكلم بكل شجاعة وإيمان، وتتوعد الطاغية في عاصمته وبين جنوده وحرسه، قائلة:

«أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟»[1].

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٤٥ – الصفحة ١٣٤

ثم في مقطع آخر تُسقِط هيبته وسلطانه في أعين الناظرين والسامعين قائلة:

« ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء»[1].

ثم لم تكتف العقيلة زينب عليها السلام حتى أنهت خطبتها المباركة برؤية ثاقبة ونافذة، وببصيرة واعية تتحدث عن النصر المحتوم لنهج الثورة الحسينيّة المباركة، وهو ما حصل فعلاً، حيث تقول عليها السلام:

«فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[2].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥ - الصفحة ١٣٤

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥ - الصفحة ١٣٥

إنّ هذه الخطابات تؤسس لثورة في مجال الإعلام التربوي والسياسي، وهو ما ينبغي على المرأة الرساليّة أن تقوم به من خلال جعل خطابات الثورة الحسينيّة المباركة أرضيّة الانطلاق لتأسيس إعلام صادق يقوم على الوضوح والشفافيّة، بعيداً عن الزخرف والإسفاف.

وعلى الصعيد الآخر إعلاميّاً يتطلب أن ننفتح على الوسائل المتقدمة عصريّاً، مع المحافظة على ثوابت الثورة الحسينية المباركة، فنعمل على فتح آفاق متعددة في العمل الإعلامي من خلال:

١. المسرح النسائي الحسيني الهادف الذي يعالج قضايا اجتماعية وأخلاقية وتربوية بطريقة سهلة وواضحة، حيث إنّ الثورة الحسينيّة المباركة كانت مسرحاً ولا تزال تجسد صراع الحق ضد الباطل، والصدق في مقابل الكذب، والإسلام في مواجهة النفاق، والتحرر في مقابل الطغيان والاستبداد.

٢. فرق الإنشاد والترنُّم ببطولات الثورة الحسينيّة، وتعديد مناقبها، والدعوة للتمسك والالتزام بأهدافها ونهجها.

٣. كتابة القصّة المطولة والقصيرة بشكل مشوّق وجاذب لكل الأعمار، وخاصة قصص الأطفال.

٤. الإبداع في إيصال الثورة الحسينيّة، مثلاً من خلال المرسم الحسيني النسائي لكل الأعمار والفئات للأم وللزوجة والشابة والصغيرات.

٥. التعبير عن الشعائر الحسينيّة من خلال الإذاعة والبرامج الهادفة وكذلك من خلال الفضائيات.

٦. كتابة المقالات الصحفيّة وإصدار النشرات والمطبوعات.

٧. إنشاء الصفحات الالكترونية المتعلقة بالشعائر الحسينية.

الشعائر الحسينية والدور الرسالي النسوي

لا شك أنّ الثورة الحسينيّة المباركة انطلقت من أجل الدفاع عن حرمات الإسلام، ومواجهة الانحراف الذي كان يمثله الحاكم الأموي يزيد بن معاوية، وقد أكّد الإمام الحسين عليه السلام ثوابت الثورة من خلال خطاباته وأقواله في الدفاع عن الإسلام وقيمه، و وصفه ليزيد الطاغية بأنّه شارب الخمور وراكب الفجور وقاتل النفس المحترمة، كما أكّد الوقوف مع العدل في مقابل الظلم: «**إني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً**»[1]، كما أكّد الإمام الحسين عليه السلام على الخط السياسي في الوقع القيادي من خلال هذه الكلمات:

(١) تحف العقول – ابن شعبة الحراني – الصفحة ٢٤٥

« أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال:

«من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»

ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله وأنا أحق من غيّر»[1].

إنّ المواقف العظيمة التي تجلت في كربلاء من خلال التضحيات الغالية بالعطاء والدم والنفوس الزكيّة، وما تبعه من تحمل وصبر ومعاناة من قبل أبطال كربلاء وعلى رأسهم الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام تستدعي منا أن نكون مخلصين وصادقين في التعاطي مع الثورة المباركة من أجل وقاية أنفسنا وأهلنا وأبنائنا ومجتمعاتنا، كما يقول ربنا عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص:٣٠٧

﴿مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، وعليه فإنّنا بحاجة إلى مشاركة نسائيّة جادة وحقيقية في إحياء الشعائر الحسينية من خلال إحياء القيم التي تضمنتها الثورةالحسينية من أخلاق وتربية وإيمان، حيث إنّ الإمام الحسين عليه السلام جسد مواقفاً سامية تثير الإعجاب عندما وقف في وسط المعركة وهو يبكي على الأعداء الذين يدخلون النار بسبب قتله وهم يعلمون أنّه لا يوجد على الأرض أمامهم ابن بنت نبي غيره، فجسّد بذلك مواقف الأنبياء عليهم السلام في دعواتهم لأقوامهم ورفقهم بهم، كما كان جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[2].

وفي عبادته وصلاته حيث أحيا ليلة العاشر من المحرم مع أهل بيته وأصحابه بالصلاة وتلاوة القرآن حتى باتوا تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل، وكذلك العقيلة زينب عليها السلام التي ما تركت صلاة الليل حتى وهي في تلك الظروف القاسية من أسر وترويع وفقدان الأحبة والانشغال بالنساء والأطفال، وعلى الصعيد الآخر تتجلى البطولات والتضحيات والاستعداد للدفاع عن قيم الإسلام ومبادئه في صمود أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه شيوخاً وكهولاً وأطفالاً بشكل يثير الحماس والاعتزاز ويبعث على الحماسة والشجاعة، إنّ كلّ

(١) التحريم: ٦

(٢) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ٦٢ - الصفحة ٢٤٧

تلك الدروس بحاجة إلى أن تنطبع في نفوسنا وذاكرة أبنائنا بحيث تنعكس على نمط تفكيرهم وسلوكهم وأدائهم في واقع الحياة اليومي فتتجسد مقولة: «**يا ليتنا كنا معكم سادتي فنفوز فوزاً عظيماً**» بشكل حقيقي وصادق.

إنّنا نواجه تحديات متعددة اليوم سواء على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي أو على الصعيد السياسي، وفي الثورة الحسينية المباركة من الزخم العاطفي والحماسي، وكذلك من الزخم الفكري والمعرفي والإيماني ما من شأنه أن يبعث على الحياة حتى في الجبال الجامدة الصلبة، فكربلاء زاد كبير ومخزون لا ينضب من الإيمان والمعرفة والعزم ولكنه بحاجة إلى من يَنفتح عليه، ويَتفاعل معه، و يعيش في رحابه، ويرتوي من صفاء مياهه العذبة.

كربلاء هي مدرسة الجهاد والعمل، كما هي مدرسة العبادة والإيمان، كما هي مدرسة التضحيات والأخلاق، وهي مدرسة تستطيع أن تستوعب كلّ الأعمار وكلّ الطاقات وكلّ الألوان وكلّ الأجناس، وهي معركة المرأة كما الرجل، ومعركة الأم و الزوجة والأخت والبنت من أجل حياة أفضل بعيداً عن الاستبداد والانحراف والخداع والطغيان.

الحسين عليه السلام

ثائراً من أجل الله

لم يحصل أن حدث في التاريخ ثورة نقيّة كثورة الإمام الحسين عليه السلام، فقد كانت الثورة الحسينيّة نموذجيّة بكل المقاييس، من حيث النقاء والطهارة والإخلاص، واشتملت على قيم سامية، من حيث الصدق والشجاعة والتضحية، وجمعت بين البطولة والمأساة، فكانت تعبيراً إنسانياً صادقاً وسمواً أخلاقياً رفيع المستوى، وتحولت إلى منارٍ لكل الثائرين والمحرومين والمتطلعين للحرية والتمسك بالحق.

خلوص الأهداف

«شاء الله أن يراني قتيلاً»[1]

بهذه الكلمات المفعمة بالإيمان و الصدق رد الإمام الحسين بن علي عليه السلام على من نصحوه بعدم الخروج من مكة في طريقه إلى كربلاء، فمع أن إعلان الثورة كان في

(١) مقتل الحسين عليه السلام – للسيد عبد الرزاق المقرم – ص ٦٥.

مواجهة حاكم ظالم مستبد ومستهتر كيزيد الذي وصفه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «.. **يزيد فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[1]، إلا أن أهداف الثورة لم تكن مجرد مقاومة عسكرية في مقابل الحكم من أجل الوصول إليه، وإنّما الهدف الرئيسي للثورة هو الامتثال للأمر الإلهي، والتسليم المطلق للحق من دون التفكير في مكاسب مادية أخرى، ولذلك وجدنا الإمام الحسين عليه السلام يتحدث عن الموت في خطابه للناس قائلاً:

خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا، فيملآن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه، وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»[2]

إنّ الإمام الحسين عليه السلام يتحدث عن الموت مع أنه كان

(١) أعيان الشيعة – السيد محسن الأمين – ج ١ – الصفحة٥٨٧– ٥٨٨

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٤٤ – الصفحة ٣٦٦ – ٣٦٧

يستنصر الناس، فمن المفترض أن يُمنِّيهم بالمكاسب والنصر على الأعداء، ولكنه لم يكن كأي ثائر آخر إنه ثائر من أجل الله عز وجل.

ولكن ذلك لا يعني أبداً أنه نوع من الاستسلام للموت أو تسليم بالهزيمة، وإنما هو منهاج ثوري من نوع آخر لا يمكن أن تجده إلا في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، إنّه البحث عن السعادة في الموت، في مقابل الحياة الذليلة أمام الظالمين، ولذلك فإنه يقول: «**فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً**»[1].

إنّها معادلة ثوريّة من نوع آخر ترتكز على أسس عالية المعاني، وترتكز على الإيمان والتسليم المطلق.

وعلى الرغم من أن المعركة الرهيبة التي دارت، كانت بين طرفين غير متكافئين في العدّة والعتاد، فبينما كان عدد أنصار الإمام الحسين عليه السلام لا يتجاوز المائة والعشرين مقاتلاً، إلا أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يجسد قمة الإيمان والتسليم، على الرغم من شراسة العدو ووحشيته فقد نقل عنه أعداؤه قولهم: «ما رأيت مكثورا قط، قتل ولده وإخوته وبنو عمه، وأهل بيته، أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرى

(١) تحف العقول – ابن شعبة الحراني – الصفحة ٢٤٥

مـن الحسـين عليه السلام ولا رأيـت قبلـه ولا بعـده مثلـه، لقـد رأيـت الرجـال تنكشـف عنـه إذا شـدّ فيهـم انكشـاف المعـزي إذا عـاث فيهـا الذئـب»[1]

إنّـه نـور الإيـمان في مقابـل الزيـف والانحـراف، إنهـا سـكينة الإيـمان والطمأنينـة التـي لا يحصـل عليهـا إلا أصحـاب اليقـين العظيـم، والحسـين عليه السلام في طليعتهـم، فقـد كان مصداقـاً للآيـة القرآنيـة الكريمـة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[2]، إنّ النمـوذج الـذي قدّمـه الإمام الحسـين عليه السلام قد فتـح آفاقـاً جديـدة في عـالم الشـهادة والتضحيـة بالـذات مـن أجـل القيـم لا مـن أجـل المصالـح والمكاسـب الشـخصيّة، فعـلى الرغـم مـن الآلام التـي كان يعانيهـا وهـو يـرى فقـدان أبنائـه وأخوتـه وأنصـاره إلا أنـه كان يـردد بلسـان المؤمـن الواثـق مـن نفسـه والمتـوكل عـلى ربِّـه: «**هـوّن عـليَّ مـا نـزل بي أنـه بعـين الله**»[3]

وحتـى عندمـا سـقط في آخـر لحظـات حياتـه، ورغـم الجراحـات التـي أصابتـه وجعلـت جسـمه مقطعـاً، كان يـردد قائـلاً: «**إلهـي رضـاً برضـاك لا معبـود سـواك**».

إنّ ثـورةً بهـذا القـدر مـن الإخـلاص والتضحيـة والإيـمان

(١) مقتل الحسين عليه السلام – العلامة الخوارزمي – ج ٢ – ص ٣٨

(٢) الرعد: ٢٨

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٣٨، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٤.

شيء نادر في التاريخ، ولذلك فلا غرو إن تحول الإمام الحسين عليه السلام إلى رمز لكلّ الثائرين على طريق الله والحق والحرية ،فهو سيّد الشهداء، وإمام المظلومين والمحرومين، وليس غريباً أنّ الثورات التحرريّة استمدت من كربلاء عنفوانها وعزتها، فتفجّرت ناراً تحت أقدام الطغاة والجبابرة في كلّ زمان ومكان وعصر، وامتدت كربلاء إلى خارج حدودها وزمانها.

لقد تحوّلت كلمات السبط الشهيد المفعمة بالعزة والإيمان إلى شعارات الثورة على الظلم والتجاوز والطغيان، وأصبحت عبارة «**هيهات منّا الذلة**» على شفة كلِّ ثائر، وتحولت منعطفات معركة كربلاء إلى دروس ومناهج في التربية والثورة من أجل الله والحق والحرية.

لنلتحق بركب
الحسين عليه السلام

قال الإمام الحسين عليه السلام:

« وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي... »[1]

كانت الأمّة هي هاجسه، ومن أجلها تحمل مسؤوليته، فلقد عم الفساد مشروع الأمّة التي قادها جدّه لكي تكون مشروع إنقاذ البشرية جمعاء نحو العدالة والأمن والسلام، وتسلّط عليها من حوَّل هذا المشروع إلى مشروع انتفاع شخصي وعائلي، وفي سياق هذا التحول الكبير حدثت العديد من الانتهاكات للقيم العليا والأهداف الدينيّة الكبرى، وقد انعكست تلك الانتهاكات سلباً على الفرد والمجتمع، وعلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٢٩، والمناقب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ٨٩

كلّ الأمة في عصره ومن سبقه ومن لحقه.

فلقد حوّلت شهوة المُلك والتسلط الأموي الدين والمجتمع -اللذين كانا قوام المشروع التغييري الإلهي للإنسانية- إلى مجرد خدّام في بلاط سلاطين الجور الذين استخدموهم لتدعيم بنيان مشروعهم الجاهلي الخاص، فأصبح الدّين المزيف ضد الدين في جريمةٍ لتزييف القيم، وأصبح الإنسان الممسوخ ضد الإنسان في منظومة القهر والقمع والتسلط.

لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام مسؤوليته الدينيّة و الأخلاقية تجاه ما يحدث من تحريف متعمّد للمشروع الإلهي والقيمي الكبير، وأدرك أن مراكز الفساد والإفساد لن تقبل منه الحياد تجاه مشروعها، لهذا طالبته:

بالتهديد أولاً.

ثم بجيش مكون من آلاف المرتزقة الأوغاد ثانياً.

وبالإذعان والبيعة لواقع الفساد وعدم التمرد عليه ثالثاً.

وطالبته بأن يصبح جزءاً من هذا الواقع الفاسد رابعاً.

وكان الإمام الحسين عليه السلام يدرك الأثر الكبير لسكوته، ويعلم حجم التزوير في وعي الأمة الذي يمكن أن يتركه

ركـون رمـز الاسـتقامة وسـليل بيـت النبـوة لضغوطـات سـلطة الفسـاد سـواء باتخـاذه موقـف الحيـاد - كـما فعـل كثـيرون - أو بانضمامـه لهـذا الواقـع كـما فعـل آخـرون أيضـا.

وإذا كان مـشروع الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم هـو مـشروع إنقاذ الإنسـانيّة مـن مسـتنقع الاسـتعباد والظلـم والقهر والعـدوان إلى فضـاء الحرية والعـدل والمسـاوة والأمـن، فـإنّ الامام الحسـين عليه السلام هـو مكمّـل مـشروع الإنقـاذ الإلهـي لجـدّه محمـد بـن عبـدالله صلى الله عليه وآله وسلم ومسـيرته، أفليـس هـو سـيّد شـباب أهـل الجنـة والـمُعَدُّ لمواصلـة المـشروع الإلهـي الحضـاري العظيـم الـذي جـاء بـه جـدّه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لمـا يتمتـع بـه الإمام الحسـين عليه السلام مـن جهـاد واسـتقامة ونهضـة ضـد قيـم الفسـاد والظلـم والعـدوان والانحـراف عـن الديـن.

لقـد مثـل الإمام الحسـين عليه السلام مـشروع الاسـتقامـة في الأمّـة، وعندمـا قـال الرسـول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**الحسـن والحسـين إمامان قامـا أو قعـدا**»[1] فإنـه يعلـن أن مـشروع الإمامـين الحسـن والحسـين عليهما السلام هـو مـشروع خـلاص الأمـة ونجاتهـا، وأن الالتـزام والالتحـاق بهـذا المـشروع هـو إنقـاذٌ للأمـة والتخلـف عنهـما هـو الرضـا بالفسـاد والانحـراف.

مـن هنـا فـإنّ الإمام الحسـين عليه السلام هـو قائـد هـذه الأمـة

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٣ - الصفحة ١٦٣

وأملها في الخروج من الذل والاستعباد، ومنطلقاته وأهدافه يجب أن تكون هي منطلقات وأهداف هذه الأمة، ونهضته الإلهية ضد الاستعباد والظلم والفساد هي مسيرة الرسالة المستمرة وحضارتها، والالتحاق بها وبأهدافها الإصلاحيّة هو الطريق الصحيح والمتاح لكل من يريد الانضمام لركب التغيير الذي قاده الإمام الحسين عليه السلام وتحمّل مسؤوليته، حتى يتحقق الإصلاح والتغيير الموعود على يد الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولذلك لابد لنا من تجديد العهد و البيعة للإمام الحسين عليه السلام دائماً، وخاصة في ذكراه، ونؤكد على ارتباطنا دينياً وروحياً وتأريخياً بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، ونؤكد على التزامنا بأهداف ومنطلقات المشروع الإلهي الرسالي الكبير الذي قاده رسول الإنسانية الأكمل محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم وواصل مسيرته الأئمة الأطهار عليهم السلام من أجل التغيير والإصلاح في هذه الأمة المرحومة، فالانحراف والفساد والظلم والعدوان الذي تعاني منه الأمة اليوم هو آثار وامتدادات المشروع الجاهلي الذي وقف ضده الإمام الحسين عليه السلام وحيداً في صحراء كربلاء منادياً: «**هل من ناصر ينصرنا؟**».

إنّ ظروف الواقع الفاسد وتغييب دور الأمة ومصادرة

حريتها والاستئثار بمقدّراتها التي نهض الإمام الحسين عليه السلام من أجل مقاومتها وإصلاحها تتجلى اليوم - بشكل صارخ- في واقعنا بأجلى صورة، ولابدّ من التصدي لإصلاح هذا الواقع والانطلاق مما أنجزه الإمام الحسين عليه السلام في الإصلاح الذي يعتبر- اليوم - جزءاً مهماً من مسؤولية الأمة، وجزءاً من ثقافتها الأصيلة وتعاليم قادتها الأبرار، وإنّ التصعيد الأمني والقمع غير المبرر ضد المطالبين بالإصلاح هو خروج على حق الأمة في الدفاع عن مقدساتها.

لقد اعتقد الطاغية يزيد مخطئاً أن الانتقام من الإمام الحسين عليه السلام وأبناء البيت النبوي وبناته يوم العاشر من المحرم قد يكون كافياً لإسكات الأمة وثنيها عن تحمل مسؤوليتها، وقد يعتقد بعض الحاكمين أن الحل مع المطالبين بالإصلاح هو استخدام القوّة والقمع والاعتقال والتعذيب، غير أن التأريخ أثبت - ولا يزال - أن من يعتدي على إرادة الأمّة ومقدّساتها وحقوقها يذهب إلى مزبلة التاريخ، وتبقى الأمّة صامدة مهما بلغت آلة الإعلام والتزييف وآلة العسكر وآلة الأمن من قوة.

يجب على الأمّة أن تلّبي دعوة الإمام عليه السلام في معركته ضد الاستعباد والظلم والعدوان والفساد، وتعلن التزامها التام و جهوزيتها للالتحاق بركبه الممتد عبر الأزمان، والعمل

ضمـن خطّتـه وحركتـه.

إنني أدعـو الأمـة جمعـاء للالتحـاق بخـط التغيـير والإصـلاح الـذي انتهجـه السـبط الشـهيد، وأؤكـد عـلى ضرورة التعـرّف عـلى منطلقاتــه وأهدافــه وأخلاقــه ليتحمّــل الجميــع مســؤولياتهم في إطـار مـشروع الإسـلام التغيـيري الكبـير، وأضـع بـين أيديكـم أحبتـي مجموعـة مـن التوجيهـات:

دور الحسينيات:

لابـدّ مـن العمـل عـلى تحويل الحسـينيّات إلى مواقـع للبنـاء والإعـداد والتأهيـل لأبنـاء المجتمع عـلى كل صعيد روحيـاً ومعنوياً وأخلاقيـاً وعلميـاً ومعرفيـاً، فهـذه هـي فلسـفة وجود الحسـينيات لأن الإمام الحسـين عليه السلام إنـما انطلـق بنهضتـه وثورتـه المباركـة في وجـه الطغيـان مـن أجـل الإصـلاح في أمـة جـدّه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم كـما عـبر هـو عـن ذلـك في خطابـه، والرسـول صلى الله عليه وآله وسلم إنّـما جـاء لكـي يحـرر النـاس مـن الأوهـام والقيـود والأغـلال مـن خـلال اعتـماد البنـاء الأخلاقـي والسـلوك الإنسـاني.

هـذا مـن جانـب، ومـن جانـب آخـر الحـثُّ عـلى العلـم واكتسـاب المعرفـة، وكلّـما اسـتطعنا أن نحوِّل الحسـينيّات إلى مراكـز للعلـم والمعرفـة والعمـل والتنظيـم كلـما كنـا أقـرب لمواكبـة قيـم النهضـة الحسـينيّة والنهـل مـن مواردهـا.

كما أنّه لا بدّ من التقاء القائمين على الحسينيّات بشكل متواصل مع بعضهم البعض، والتحاور حول قضايا أساسيّة من أجل خير المجتمع والأمّة، ووضع البرامج المشتركة التي ترتقي بأبناء المجتمع على الصعيد الفكري والأخلاقي والاجتماعي.

على الحسينيّات اليوم أن تنطلق من أرضيّة الإسلام فكراً وعقيدةً وقيماً وسلوكاً، فتكون بمستوى التحديات الصغيرة والكبيرة، محليّاً وعالميّاً، وهذا يعني أن تكون الحسينيات صاحبة مشروع حضاري يتحدث عن نفسه سواء على الصعيد الأخلاقي أو السياسي أو العلمي أو الاقتصادي، وهذا بحاجة إلى بحث مستقل بذاته، ولكن كمجرد إثارة فإنّ المطلوب: أن ترتقي الثورة الحسينيّة ونرتقي بها من خلال وضع البرامج العلميّة والعمليّة والإعداد لكي نكون بمستوى المواكبة أمام المتغيرات فنعيش زماننا بوعي وفهم، وكما يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس**»[1].

دور الفرد الرسالي:

إنّ الفرد الحسيني هو الفرد الرسالي بامتياز، في وعيه وسلوكه مع نفسه وربه ومجتمعه وأمّته، فمن المهم أن يعي كلّ

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ١ – الصفحة ٢٧

واحد منا حقيقة انتمائه ومن ثمّ ينطلق لأداء دوره الرسالي الذي يقتضيه تجاه الإسلام والمسلمين وإعلاء كلمة الحسين عليه السلام ، والذي يمثل الإسلام الحقيقي الصافي الشفاف، وأن نتخذ من الحسين عليه السلام القدوة والأسوة والمنهج والوسيلة في حياتنا اليوميّة .

دور المرأة الرسالية:

إنّ جهاد الإيمان، و الشرف، والحياء، والعفة، والحشمة هو رسالة زينب عليها السلام للمرأة، وإنّ تربية جيلٍ حسيني واعٍ عاملٍ هو مسؤولية تحمل المرأة الكثير من أعبائها، لذا فإنّ الدور الرئيسي الذي تخدم المرأة به الأمة هو إيمانها وتنشئتها لأجيال حسينيّة مؤمنة فتياناً وفتيات يغذّون العمل الرسالي وينعشون المجتمع بظِلال إيمانهم.

دور الجماهير المؤمنة:

لا ينبغي أن تمرّ ذكرى عاشوراء ونخرج منها كما دخلنا، فهذا الموسم الربانيّ مليء بالدروس والعبر فحريٌّ بعشاق الحسين عليه السلام أن تُحدث في أنفسهم ذكراه فاصلاً تاريخياً، وتغييراً جذرياً، وأن نخرج جميعاً من ذل المعاصي ومعسكرات الجهل إلى عزّ الطاعة وحصون الحق، علينا أن

نستصلح ما فسد منا بعرض أنفسنا على كربلاء، ونفتّش عن مواطئ أقدامنا ففي أي معسكر نحن نقف؟ ونتساءل هل نحن مع الحسين صعليه السلام؟ هل نحن مع الحق؟ هل نصرنا الحق؟

دور المجتمع الرسالي:

إنّ المجتمعات الحسينيّة تشكّل حصوناً عقائديّة للأجيال بما تزخر به من مؤسسات حسينية ودينيّة، وبما تحمله من قيم حسينية يجب تنميتها والمحافظة على مكتسباتها عبر(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الهدف الرئيسي لثورة الإمام الحسين عليه السلام ، وهو في ذات الوقت منهج الإصلاح.

مطلوب من المجتمع أن ينظّم نفسه ضمن تكتلات إيمانية على كلّ صعيد حياتي، سواء ارتبط الأمر بالخطباء أو المجالس أو المواكب أو القنوات الفضائيّة، ولابدّ أن يأخذ بأسباب العلم والمعرفة، وأساليب العصر وآلياته من إدارة وثقافة وإعلام حتى لا يكون بعيداً عن المتغيرات العالميّة، خاصة الإيجابيّة منها.

دور العلماء والمبلغين:

لقد بذل الإمام الحسين عليه السلام مهجته وروحه الطاهرة من أجل إيصال الحقيقة للأمّة والإنسانيّة، ومن أجل إرجاع ميزان القوى للدين ولقيم الدين ومَن يمثله ويرفع رايته في قبال النزعة إلى الجاهلية، وتحكيم العصبيّة القبليّة والقوميّة، وإنّ ما نراه اليوم من تعظيم وتقدير لرجال الدين هو من خيرات النهضة الحسينيّة، لذا فإنه من الواجب الأخلاقيّ والشرعيّ على الدعاة والمبلِّغين أن لا يتوانوا في إيصال صوت الحسين عليه السلام لكلّ جيل ولكلّ بقعة من بقاع العالم، وأن يحافظوا على جوهر الثقافة الحسينيّة الرساليّة النقيّة الرافضة لمساومات الباطل وتبريرات الواقع المنحرف.

إنّ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى سبيل الله هي من صميم مقاصد الحسين عليه السلام، ولذا فعلى المبلِّغين والعلماء أن يعرضوا الحسين بوصفه (ثار الله)، إذ تكتنز هذه الكلمة على وصف شامل لثورته عليه السلام، أي عرض قيم العقيدة والدين موازاة مع قيم الرفض والثورة، فثورة الحسين عليه السلام هي دينية بالدرجة الأولى تسير وفق مبادئ الدين وقيمه وتعاليمه.

وختاماً فإنّ المفاهيم الرساليّة والتعاليم الدينية والقيم الحسينيّة التي أرستها كربلاء لا زالت مصدر إلهام

لجميع المصلحين في الأرض، وينبوعاً تربوياً يغذّي جميع الأجيال وصوتاً يقضّ مضاجع الظالمين، ويزلزل عروش الطواغيت في كلّ الدنا، لذلك ينبغي أن نستفيد الاستفادة الكبرى من الأجواء العاشورائيّة والشعائر الحسينية، وأن يتوازن الإحياء بين العَبْرَةِ والعِبْرة.

الفهرس

- تقريظ ٧
- المقدمة ١١

الإصلاح

رسالة الأنبياء ١٧

- حلم المنقذ:..... ٢١
- الفكرة الصالحة ركيزة الإصلاح ٢١
- النبي شعيب عليه السلام ونموذج دعوة الإصلاح: ٢٣
- بلعم بن باعورا النموذج المقلوب: ٢٩

- الدعوة إلى التفكر: ٣١
- تحويل الرؤية إلى مشروع: ٣٥
- ثقل الفكرة الصالحة: ٣٧
- شمولية الإصلاح و استمراريته: ٣٩
- فاقد الشيء لا يعطيه: ٤٠
- الإصلاح غاية عاشوراء: ٤١
- الحق محور الإصلاح: ٤٣
- حب الإمام الحسين رمز الإيمان: ٤٤
- و الخلاصة: ٥١

ثقافة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ٥٣

- عمق القيم الإسلامية: ٥٦
- الأمر بالمعروف قيمة إيمانية: ٥٧
- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في القرآن: ٥٩
- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الأحاديث: ٦٢
- دلالات مفهوم الأمر بالمعروف: ٦٤

- فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٦٦
- عاشوراء هي الصيانة: ٦٧
- كربلاء وثقافة الأمر بالمعروف: ٦٩
- فلنكن كأبي ذر الغفاري: ٧١
- فقدان ثقافة التواصي: ٧٧
- الأسلوب الأرقى في الدعوة: ٨٠
- خصال الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: ٨٢
- الأمر بالمعروف عمل جمعي: ٨٤
- كلمة الحق أعظم المعروف: ٨٤

العبادة

طريق الأمان ٨٩

- المشروع الإلهي للأمن: ٩٣
- الحج و بناء الأمن: ٩٨
- إسقاط الحج على واقعنا: ١٠١
- الصراعات والأمن للجميع: ١٠٥
- إحرام الحسين عليه السلام: ١٠٦

• لنحرم مع الحسين عليه السلام : ١٠٨

الأمن الاجتماعي

تجنب البغي و احترام الحقوق ١١٣

• الصراع بين الخير و الشر: ١١٦
• الأمن الاجتماعي كمشروع: ١١٧
• البغي و التعدي على الحقوق: ١١٨
• الاعتراف و الاحترام: ١٢١
• لا تظلمون و لا تظلمون: ١٢٣
• الحاجة إلى ثقافة الاعتراف و الاحترام: ١٢٤
• الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام قدوة و أسوة: ١٣٠
• ممارسات مجتمعية خاطئة: ١٣٨
• دروس من المشهد الحسيني: ١٤١
• رؤى وبصائر: ١٤٥

الدنيا

فرصة و امتحان ١٤٩

• الدنيا ربيع زائل: ١٥٢

• الدنيا قنطرة: ١٥٤

• الدنيا بين حاضر زائل ومستقبل دائم: ١٥٥

• تحديد الهدف:.. ١٥٩

• حالة الاتزان:.. ١٦٠

• ربي ارجعون:.. ١٦٣

• الإمام الحسين عليه السلام يصف الدنيا: ١٦٤

• الناس عبيد الدنيا:..................................... ١٧٠

• الدين لعق على ألسنتهم:................................ ١٧٢

• فإذا محصوا بالبلاء: ١٧٢

• مبررات واهية: ١٧٦

• مسلم بن عقيل و المجتمع الكوفي: ١٧٨

• رؤى وبصائر:.. ١٨٣

المرأة الرساليّة و الـدور المطلـوب ١٨٧

• أهمية المشاركة النسائية في الشعائر الحسينية:............ ١٩٣

• الثورة الحسينية وصياغة الوعي الاجتماعي ١٩٥

- المشاركة الحسينية النسائية والدور المطلوب ١٩٥
- المشاركة النسائية والإعلام الهادف ١٩٧
- الشعائر الحسينية والدور الرسالي النسوي ٢٠١

الحسين عليه السلام

ثائراً من أجل الله ٢٠٥

- خلوص الأهداف ٢٠٧

لنلتحق بركب

الحسين عليه السلام ٢١٣

- دور الحسينيات: ٢٢٠
- دور الفرد الرسالي: ٢٢١
- دور المرأة الرسالية: ٢٢٢
- دور الجماهير المؤمنة: ٢٢٢
- دور المجتمع الرسالي: ٢٢٣
- دورالعلماء والمبلغين: ٢٢٤
- الفهرس ٢٢٧

يمكن الجزم بأنّ ملحمة الطّف لا تزال تملك تلك القوة المُلهبة المُلهمة لأرواح المستضعفين ممن قرؤوها في سياقها السليم واستشعروا فيها الرفض الحقيقي لكلّ نظم الظلم والاستعباد بشقيه المعنوي والجسدي، واستخلصوا من نهج بطلها سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام الوقوف مع الحق في كل زمان ومكان.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد شعار، وإنّما هو غاية وهدف عظيم، وعنوان كبير لتنظيم الواقع الديني و الاجتماعي والسياسي و الاقتصادي في العالم.. فما أحوجنا اليوم إلى نوره ومنهجه لإعادة بناء الإنسان في المجتمع، ومن ثم النهوض بالمجتمع.

إننا نسعى من خلال هذه الوريقات للتزود بالرؤى و البصائر العاشورائيّة ، وفهم مضامين كربلاء فهماً عميقاً عبر استخلاص الدروس من هذه الثورة العظيمة ، لنصل بمجتمعاتنا إلى بر الأمان ، وننقذ الناس من براثن الجهل و الضلال و الظلم.